صليب المسيح قبل الطوفان

أدريان إيبنز

صليب المسيح قبل الطوفان

إهداء لأصدقائي الأعزاء

مارك وإليزابيث فيري

تمت الطباعة بواسطة

MARANATHA
MEDIA

maranathamedia.com
adrian@maranathamedia.com

أبريل (نيسان) ٢٠١٦

الفهرس

الصليب بصفته النقطة المحورية ٤

هل الطوفان عملية ترهيب وتخويف عالمية النطاق؟ ٤

مملوء ظلمًا وعنفًا ٥

الطريق للفساد والهلاك ٨

الموت يحدث بسبب الخطية وليس بسبب الله ١٤

المسيح بصفته التعبير الكامل عن الآب ١٦

الأكذوبة العظيمة التي أدت إلى الخوف من الموت ١٨

الْمَسِيح قَدْ أَبْطَلَ الْمَوْت ١٩

إعلان محبة الآب ٢٢

نور الصليب في الطوفان ٢٤

وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللهِ ٢٨

لنطلب الآب بكل قلوبنا ٢٩

الصليب بصفته النقطة المحورية

تسبب قصة الطوفان عدم ارتياح للكثيرين حول العالم. فهل يُغرق الله حقًا مئات الآلاف من الناس لأن رحمته قد نفذت، ولن يقدر شيء على إيقاف يد الدينونة الساحقة فيما بعد؟ أيفعل الإله المُحِب شيئًا كهذا؟ بالنسبة للكثيرين، هذا لغز محير. لاحظ بعناية الكلمات التالية لأنها تحمل المفتاح الضروري لفهم هذا اللغز:

> "يفسر سر الصليب جميع الأسرار الأخرى. وفي النور المنبعث من جلجثة تبدو صفات الله، التي كانت قبلا تملأ قلوبنا خوفا ورهبة، جميلة وجذابة. فالرحمة واللطف والمحبة الأبوية تُرى ممتزجة بالقداسة والعدل والقدرة. وفيما نرى جلال عرشه مرتفعا وعاليا فإننا نتبين صفاته في إعلاناته الرحيمة وندرك، كما لم ندرك من قبل، معنى هذا اللقب الباقي إلى الأبد – أبانا" (الصراع العظيم، صفحة ٥٩١).

هل الطوفان عملية ترهيب وتخويف عالمية النطاق؟

دخل رجلٌ باحترام وأدب إلى محل بقالة وأخبر صاحب المحل أن محله معرض لخطر حقيقي للغاية. وقال له: "سيحل بمتجرك هذا وبأسرتك خرابًا أكيدًا. لا شيء يمكنه إيقاف هذا الخراب أو منعه إلا أن تكون تحت حمايتنا. لقد قدمنا فلك نجاة لأولئك الذين يعترفون بأننا الحماة الحقيقيون الوحيدون للحرية". وأخبره أنه جاء في مهمة رحمة لإنقاذ صاحب المحل من الهلاك المحقق، وأنه عندما يقوم صاحب المحل بمساعدته وتقديم الدعم له، فإنه سينجو من الدمار الآتي الذي سيحل على كافة أصحاب المتاجر الذين يرفضون قبول هذه الحماية. وبعد ذلك وضع الرجل يده بلطف على كتف صاحب المحل متوسلاً إليه أن يفكر بعناية في عرض "الرحمة" هذا. وقال له: "لا نريد أن يلحق أي ضرر أو أذى بك أو بأسرتك. سنحزن جدًا إذا حدث ذلك". وحثه الرجل على قبول شروط الحماية الرحيمة .

إذا كان هذا الرجل يقدم حماية من خطر آخر منفصل عنه، فسيكون بذلك متورطًا في جريمة جنائية تسمى "عملية ابتزاز وتخويف مقابل الحماية". أما إذا كان الهلاك المُعلَن عنه تنفذه نفس المجموعة التي ينتمي إليها هذا الرجل ويمثلها، ففي هذه الحالة ستكون جريمة جنائية اسمها "عملية ابتزاز وتخويف بغرض الإكراه". وهي ممارسة قسرية للتلاعب بإرادة الشخص عن طريق التخويف أو التهديد ويتخللها نوعًا من الضغط.

والسؤال الذي نطرحه: هل يمكن للشخص الذي يقدم رسالة رحمة حقيقية أن يمثّل أيضًا الشخص الذي يهدد بالقتل والهلاك ويمارس الضغط على سامعي الرسالة ويطبق عقوبة الهلاك على أولئك الذين يرفضون قبول الرحمة؟

وهل قصة الطوفان التي وردت في الكتاب المقدس هي في الواقع عملية ابتزاز وتخويف عالمية النطاق بغرض الإكراه؟ وهل إله الكتاب المقدس يوفر الحماية لمن يفعلون إرادته ويقتل بعد ذلك أولئك الذين يرفضون التعاون معه ودعمه؟

"فَقَالَ اللهُ لِنُوحٍ: نِهَايَةُ كُلِّ بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمَامِي، لأَنَّ الأَرْضَ امْتَلأَتْ ظُلْمًا مِنْهُمْ. فَهَا أَنَا

مُهْلِكُهُمْ [H7843] مَعَ الأَرْضِ. اِصْنَعْ لِنَفْسِكَ فُلْكًا مِنْ خَشَبِ جُفْرٍ. تَجْعَلُ الْفُلْكَ مَسَاكِنَ، وَتَطْلِيهِ مِنْ دَاخِلٍ وَمِنْ خَارِجٍ بِالْقَارِ" (تكوين ٦: ١٣ و١٤).

يقول الكتاب المقدس أن الأرض امتلأت ظلمًا وعنفًا. هل يعقل أن يلجأ الله للعنف لإهلاك الناس ويرجع السبب بعد ذلك لكونهم ممتلئين عنفًا وظلمًا؟ ألا يعتبر هذا نفاقًا؟

لو نظرنا لكلمة "مهلكهم" في اللغة العبرية، سنجد أنها تعني:

"الجذر البدائي، يتلف، أي (يكون سببًا في) الخراب (حرفيًا أو مجازيًا) – يضرب أو يدقّ، يبيد، يفني، الفاني، يهلك، هالك، هلاك، يضيع، يفسد، يسكب، ساكب، إتلاف."

هذه الكلمة نفسها مستخدمة في الأعداد التي تسبق مباشرة العدد الثالث عشر من سفر التكوين الأصحاح السادس :

"وَفَسَدَتِ [H7843] الأَرْضُ أَمَامَ اللهِ، وَامْتَلأَتِ الأَرْضُ ظُلْمًا. وَرَأَى اللهُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ قَدْ فَسَدَتْ[H7843]، إِذْ كَانَ كُلُّ بَشَرٍ قَدْ أَفْسَدَ [H7843] طَرِيقَهُ عَلَى الأَرْضِ" (تكوين ٦: ١١ و١٢).

فلو استخدمنا الكلمة العبرية التي تعني "يهلك" والتي استخدمها المترجمون للإشارة إلى نفس الكلمة الوارد ذكرها في تكوين ٦: ١٣، ستكون قراءة النص كما يلي :

"وهَلَكَتِ الأَرْضُ أَمَامَ اللهِ، وَامْتَلأَتِ الأَرْضُ ظُلْمًا. وَرَأَى اللهُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ قَدْ هَلَكَتْ، إِذْ كَانَ كُلُّ بَشَرٍ قَدْ هَلِكَ طَرِيقَهُ عَلَى الأَرْضِ" (تكوين ٦: ١١ – ١٢).

والسبب الذي اعتبرت الأرض لأجله أنها فسدت أو هلكت هو أن الإنسان أفسد أو أهلك طريقة تفكيره وامتلأ عنفًا وظلمًا.

مملوء ظلمًا وعنفًا

في هذا الوقت كان فكر الشيطان يهيمن على العالم بالكامل. والكتاب المقدس يخبرنا من أين يأتي هذا الظلم أو العنف:

"بِكَثْرَةِ تِجَارَتِكَ مَلأُوا جَوْفَكَ ظُلْمًا فَأَخْطَأْتَ. فَأَطْرَحُكَ مِنْ جَبَلِ اللهِ وَأُبِيدُكَ أَيُّهَا الْكَرُوبُ الْمُظَلِّلُ مِنْ بَيْنِ حِجَارَةِ النَّارِ" (حزقيال ٢٨: ١٦).

وهذا يتناقض تمامًا مع المسيح الذي تقول عنه أسفار الوحي المقدسة أنه لم يعمل ظلمًا ولم يرتكب أعمال عنف:

"وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ، وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ. عَلَى **أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْمًا**، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ" (إشعياء ٥٣: ٩).

وقد صرَّح المرنم في سفر المزامير في حديثه عن ابن الملك بالكلمات التالية:

"مِنَ الظُّلْمِ وَالْخَطْفِ يَفْدِي أَنْفُسَهُمْ، وَيُكْرَمُ دَمُهُمْ فِي عَيْنَيْهِ" (مزمور ٧٢: ١٤) .

لذا فابن الله لا يعمل ظلمًا أو عنفًا، وأولئك الذين يفديهم ينقذهم من التورط في الظلم أو العنف أو التعرض للمعاملة العنيفة الجائرة. أما الشيطان فهو ممتلئ بالعنف والظلم وقد ملأ العالم بروحه. فما هي النقطة الجوهرية التي تجعل الشيطان يمتلك روح الظلم والعنف هذه؟

"وَأَيْضًا مَتَى أَدْخَلَ (أي الله الآب) الْبِكْرَ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ: وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ اللهِ" (عبرانيين ١: ٦).

"ثُمَّ أَخَذَهُ أَيْضًا إِبْلِيسُ إِلَى جَبَل عَال جِدًّا، وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَمَجْدَهَا، وَقَالَ لَهُ: أُعْطِيكَ هذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي" (متى ٤: ٨ و٩).

"اعترف الملائكة بكل سرور بسمو المسيح وعظمته، وإذ انطرحوا أمامه ليسكبوا في حضرته محبتهم وعبادتهم. **وقد انحنى لوسيفر معهم، ولكن صراعا غريبا عنيفا كان يعتمل في نفسه،** لقد كان الحق والعدل والولاء في صراع مع **الحسد والغيرة"** (الآباء والأنبياء، صفحة ١٦).

"فسأل ذلك الماك القوي قائلاً: لماذا يتفوق المسيح عليَّ ولماذا ينال كرامة أعظم مني؟ ... وإذ ترك لوسيفر مكانه في محضر الآب المباشر **خرج لينشر روح التذمر بين الملائكة،** وأخذ يقوم بهذا العمل بتكتم عجيب، مخفيا، إلى حين، حقيقة غرضه تحت قناع التوقير لله، وبدأ يوعز إلى غيره بالشكوك فيما يختص بالشرائع المفروضة على الخلائق السماوية، قائلا إنه مع كون الشرائع لازمة لسكان العوالم، إلا أن الملائكة، لكونهم أرفع مقاما من باقي الخلائق، فلا حاجة بهم إلى وازع أو رادع، لأن حكمتهم هي خير مرشد لهم، وليسوا هم من الخلائق التي تفكر في إهانة الله، فكل أفكارهم مقدسة. وكما يستحيل على الله أن يخطئ يستحيل عليهم أيضا ذلك. وصور المركز الرفيع الذي يحتله ابن الله الذي كان معادلا للآب على أنه ظلم وإجحاف وقع على لوسيفر الذي ادعى أنه هو أيضًا أهل للتوقير والإكرام" (الآباء والأنبياء، صفحة ١٧).

اشتدت كراهية الشيطان تجاه المسيح لدرجة أنه كان يخطط لقتل ابن الله من البدء. وقد كشف صلب المسيح للكون عن نوايا الشيطان الحقيقية قبل خلق هذا العالم.

"أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. **ذَاكَ كَانَ قَتَّالًا لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ،** وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ ..." (يوحنا ٨: ٤٤).

إن أفكار الشيطان ومكايده الإجرامية هي التي غذَّت روح الظلم والعنف لديه. لقد خُلِق العالم على صورة الله وابنه، وعندما رأى الشيطان الزوجين البريئين في الجنة، ملأته الغيرة والحسد وقرر القضاء عليهما.

"إن الشيطان إذ لم يجد لنفسه مجالا لإثارة التمرد في السماء **وجدت عداوته لله مجالا للتآمر على إهلاك الجنس البشري،** فلقد رأى في السعادة والسلام اللذين كان ينعم بهما ذانك الزوجان القديسان لمحة من الغبطة التي خسرها إلى الأبد، **فبدافع الحسد عول**

على تحريضهما على العصيان، وحاول أن يجلب عليهما جرم الخطية وقصاصها. **إنه سيحول محبتهما إلى شك، وأغاني الحمد إلى الطعن في حق جابلهما،** وبهذه الطريقة لا يوقع هذين المخلوقين البريئين في نفس شقائه الذي يعانيه هو فحسب، بل يلقي على الله الهوان والعار، ويسبب حزنا لساكني السماء" (الآباء والأنبياء، صفحة ٣١).

عندما أخطأ آدم وحواء، سمحا لروح الكراهية والحسد بالدخول إلى قلبيهما. لقد اتحدا مع الشيطان ضد الله.

"وفي العادة لا يوجد أي عداء بين الإنسان الخاطئ ومبتدع الخطيئة. فلقد صار كل منهما شريرا بسبب الارتداد. والمرتد لا يجد أبداً راحة إلا إذا حصل على العطف والمعاضدة بإغواء الآخرين على التمثل به. ولهذا السبب **يتحد الملائكة الساقطون والناس الأشرار في عشرة يائسة.** ولو لم يتدخل الله على نحو خاص لكان الشيطان قد تحالف مع الإنسان لمحاربة السماء ولكانت الأسرة البشرية كلها تُجمِع على مقاومة الله بدلا من أن تُضمِر العداء للشيطان" (الصراع العظيم، صفحة ٤٦١).

هذه هي الروح التي ملأت الجنس البشري بأكمله تقريبًا. إنها روح كراهية لابن الله. ومصدر هذه الكراهية لا يمكن رؤيته وفهمه بسهولة، لكن قلب الإنسان الطبيعي بالغريزة يقاوم روح المسيح وهذا يقوده لإرتكاب العنف بحقه.

كان السبيل الوحيد لاستمرار الإنسان في الحياة هو أن يستمر المسيح في إمداد الجنس البشري بقوة الحياة التي توجد فيه. ولهذا السبب المسيح هو الحمل المذبوح منذ تأسيس العالم (رؤيا ١٣: ٨). لقد جُرِح المسيح لأجل معاصينا منذ البدء، وسُحِق لأجل آثامنا منذ بداية الخطية. ولكي يعيش الإنسان، كان على المسيح الاستمرار في حمل كل إنسان على الرغم من هذه الكراهية التي ينشرها الشيطان.

"فِي كُلِّ ضِيقِهِمْ تَضَايَقَ، وَمَلاَكُ حَضْرَتِهِ خَلَّصَهُمْ. بِمَحَبَّتِهِ وَرَأْفَتِهِ هُوَ فَكَّهُمْ وَرَفَعَهُمْ وَحَمَلَهُمْ كُلَّ الأَيَّامِ الْقَدِيمَةِ" (إشعياء ٦٣: ٩).

إن العداوة الطبيعية الموجودة في قلب الإنسان تجاه روح المسيح ستجعله يقمع عمل الروح في حياته ويتعامل بكراهية وعنف تجاه من حوله. والعنف الذي نراه في عالمنا اليوم ما هو إلا تعبيرًا عن الكراهية الأصلية ومشاعر الكراهية التي كانت في قلب الشيطان تجاه المسيح.

"الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ" (متى ٢٥: ٤٠).

من المهم جدًا فهم هذه النقطة. فكل أعمال العنف هي من وحي وإلهام الروح الممتلئة بالحسد والكره لابن الله. لذلك فإن كل عنف بما في ذلك العنف المرتكب بحق النفس والانتحار هو أيضًا اشتراك في هذا الكره تجاه المسيح حتى ولو كان السبب الأصلي غير معروف تمامًا للفرد. فمظاهر الكره تجاه الجار وأعمال العنف المرتكبة بحق أعدائنا وبحق أنفسنا تغذيها كراهية الشيطان للمسيح وعداوته له. هذا هو أصل ومصدر كل عنف وكراهية.

والعنف الموصوف في سفر التكوين الأصحاح السادس هو مظهر من مظاهر كراهية الشيطان للمسيح، وكراهية الشيطان لله تنتشر عن طريق كراهية الناس لبعضهم. وبما أن المسيح هو المصدر الوحيد للحياة، فإن النتيجة النهائية لهذه الكراهية بجملتها هي تدمير الذات.

الطريق للفساد والهلاك

يقدم لنا الرسول بولس وصفًا للطريقة التي يحدث بها هذا الهلاك في رسالته إلى رومية:

"لأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا اللهَ لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَإِلهٍ، بَلْ حَمِقُوا فِي أَفْكَارِهِمْ، وَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ الْغَبِيُّ. وَبَيْنَمَا هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءُ صَارُوا جُهَلاَءَ، وَأَبْدَلُوا مَجْدَ اللهِ الَّذِي لاَ يَفْنَى بِشِبْهِ صُورَةِ الإِنْسَانِ الَّذِي يَفْنَى، وَالطُّيُورِ، وَالدَّوَابِّ، وَالزَّحَّافَاتِ. **لِذلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ** أَيْضًا فِي شَهَوَاتِ قُلُوبِهِمْ إِلَى النَّجَاسَةِ، لإِهَانَةِ أَجْسَادِهِمْ بَيْنَ ذَوَاتِهِمِ. الَّذِينَ اسْتَبْدَلُوا حَقَّ اللهِ بِالْكَذِبِ، وَاتَّقَوْا وَعَبَدُوا الْمَخْلُوقَ دُونَ الْخَالِقِ، الَّذِي هُوَ مُبَارَكٌ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ. **لِذلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ** إِلَى أَهْوَاءِ الْهَوَانِ، لأَنَّ إِنَاثَهُمُ اسْتَبْدَلْنَ الاسْتِعْمَالَ الطَّبِيعِيَّ بِالَّذِي عَلَى خِلاَفِ الطَّبِيعَةِ، وَكَذلِكَ الذُّكُورُ أَيْضًا تَارِكِينَ اسْتِعْمَالَ الأُنْثَى الطَّبِيعِيَّ، اشْتَعَلُوا بِشَهْوَتِهِمْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، **فَاعِلِينَ الْفَحْشَاءَ ذُكُورًا بِذُكُورٍ، وَنَائِلِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ جَزَاءَ ضَلاَلِهِمِ الْمُحِقَّ.** وَكَمَا لَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يُبْقُوا اللهَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ، **أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى ذِهْنٍ مَرْفُوضٍ** لِيَفْعَلُوا مَا لاَ يَلِيقُ" (رومية ١: ٢١ – ٢٨).

تبدأ عملية الفساد برفض تقديم المجد لإله السماء الحقيقي والبقاء في حالة من الظلمة الروحية وقبول العبادة الباطلة. ينمو الفساد بالسماح للكراهية الطبيعية للمسيح بالنمو والظهور مثل السرطان. وهو ما حدث مع سكان العالم الأوائل إذ أسلمهم الله بواسطة سلسلة من الخطوات إلى الأشياء التي كانوا يرغبون في القيام بها. لقد سمح لهم بإفساد أذهانهم لأنهم أرادوا التمسك بكراهيتهم لابن الله. وأسلمهم لأهواء الهوان (أي رغباتهم المخزية) لأنهم أرادوا التمرد على النظام الذي وضعه المسيح. فأسلمهم الله إلى ذهن مرفوض (فاسد) لا قيمة له. وهو ذهن لم يعد يهتم بالحياة. وهو ذهن لا يفكر إطلاقًا في الموت والهلاك. وبالتالي فالفساد الجنسي والقتل والتدمير يصبح أمرًا طبيعيًا بالنسبة للعقل الفاسد أو الذي لا قيمة له. إلا أن المسيح يتعرَّض للرفض والاحتقار والتعذيب في روحه عندما يحدث ذلك. ولم يكن عنف البشر نحو بعضهم البعض إلا مظهرًا أو تعبيرًا عن كراهيتهم وعنفهم تجاه ابن الله.

لذلك نرى أن أهل العالم قد دمروا أنفسهم بالفعل بسماحهم لروح الشيطان بالسيطرة الكاملة عليهم وإظهار كراهيته وحسده تجاه المسيح. والشيء الوحيد الذي تبقى هو أن يعلن هذا العقل الفاسد عن نفسه إعلانًا كاملاً في الأرض برفضه لجابله. والبذرة غير المرئية المزروعة في قلوب البشر ستؤتي ثمارها بالتأكيد في العالم المرئي. في ملء الزمان قبل الطوفان أرسل الله ابنه لكي يولد من هذه الامرأة التي كانت تعيش قبل الطوفان والتي كانت تحمل البذرة من عدن. ولكن بسبب تأثير الشيطان المليء بالكراهية، أجهض العالم المسيح ولذلك كان على العالم أن يجهض جثته في مرحاض الشقاء البشري. تتضح كلمات بطرس في ضوء صليب ما قبل الطوفان.

"فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا

إِلَى اللهِ، مُمَاتًا فِي الْجَسَدِ وَلكِنْ مُحْيىً فِي الرُّوحِ، الَّذِي فِيهِ أَيْضًا ذَهَبَ فَكَرَزَ لِلأَرْوَاحِ الَّتِي فِي السِّجْنِ، **إِذْ عَصَتْ قَدِيمًا، حِينَ كَانَتْ أَنَاةُ اللهِ تَنْتَظِرُ مَرَّةً فِي أَيَّامِ نُوحٍ، إِذْ كَانَ الْفُلْكُ يُبْنَى، الَّذِي فِيهِ خَلَصَ قَلِيلُونَ**، أَيْ ثَمَانِي أَنْفُسٍ بِالْمَاءِ" (بطرس الأول ٣: ١٨ – ٢٠).

والترجمة المبسطة لهذه الآيات تقول: "لِأَنَّ المَسِيحَ نَفسَهُ ماتَ مِنْ أجلِ خَطايانا مَرَّةً واحِدَةً. ماتَ البَرِيءُ مِنْ أجلِ المُذنِبِينَ، لِكَي يُقَرِّبَهُمْ إلَى اللهِ. ماتَ بِجَسَدِهِ، ثُمَّ أُقِيمَ بِقُوَّةِ الرُّوحِ. وَفِي الرُّوحِ أيضاً، ذَهَبَ وَأعلَنَ لِلأرواحِ الَّتِي فِي السِّجْنِ. **وَهِيَ الأَرْوَاحُ الَّتِيْ عَصَتِ اللهَ قَدِيماً، لَمّا كانَ اللهُ يَنتَظِرُ بِصَبْرٍ فِي زَمَنِ نُوحَ، أثناءَ بِناءِ السَّفِينَةِ. وَلَمْ يَدْخُلِ السَّفِينَةَ إلّا عَدَدٌ قَلِيلٌ:** ثَمانِيَةُ أشخاصٍ أُنْقِذُوا بِواسِطَةِ الماءِ".

وحيث أن الطبيعة غير الحية شهدت على موت المسيح قبل ٢٠٠٠ عام، فإنها شهدت أيضًا على صليب ما قبل الطوفان. عندما تمزقت مياه تلك المرأة المرتدة، فقد تجلى ذلك في إهلاكهم للبذرة المولودة التي أغرقوها بأفعالهم العنيفة الفاسدة.

وفي هذا السياق يمكننا فهم قصة نوح باعتبارها رسالة رحمة.

> "إن الناس لا يمكنهم أن يرفضوا **إنذار الله الذي يرسله إليهم في رحمته** من دون أن يعاقبوا. لقد قدمت رسالة من السماء إلى العالم في أيام نوح، وكان خلاصهم متوقفا على الكيفية التي بها يتجاوبون مع تلك الرسالة" (الصراع العظيم، صفحة ٤٣١).

الطريقة الوحيدة التي يمكن من خلالها اعتبار الرسالة التي قدمها الله للعالم من خلال نوح على أنها رحيمة هي أن يكون الدمار الذي حلَّ على العالم في ذلك الحين هو نتيجة لما فعلوه بحق المسيح الذي فيه تقوم الخليقة كلها.

"الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ" (كولوسي ١: ١٧).

"كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ" (يوحنا ١: ٣).

عندما بدأت الأوراق تتساقط من الأشجار في عدن كشهادة على الآلام التي اختبرها المسيح عندما أخطأ آدم، فالخليقة أيضًا قبل الطوفان كانت تئن وتتمخض في حالة من الرفض والعنف.

إذا كان الله هو الذي أهلك البشر قبل الطوفان بعنف، فإن روح الشيطان نفسها تتجلى فيه. لم تكن الرسالة التي قدمها نوح قائمة على الإكراه أو الإرغام، وبالتالي فإنها كانت تخلو من الترهيب أو التخويف أو الابتزاز.

والرب يسوع أخبرنا:

"وَكَمَا كَانَتْ أَيَّامُ نُوحٍ كَذلِكَ يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ابْنِ الإِنْسَانِ" (متى ٢٤: ٣٧).

ونلاحظ أسباب الطوفان في الكلمات التالية الموحى بها:

"فلأنهم رفضوا الإنذار **انسحب روح الله بعيدا من الجنس الخاطئ** فهلكوا بمياه الطوفان" (الصراع العظيم، صفحة ٣٩٣).

"وإذ امتلأ قلبه ندامة مُرة على خطيته، وشعر بحزن مضاعف على ابنه هابيل، ولكون قابيين قد رُفض انحنت نفسه تحت ضغط الحزن والألم. **ولقد شهد انتشار الفساد المتفشي الذي كان سيسبب هلاك العالم بالطوفان** ..." (الآباء والأنبياء، صفحة ٨٢).

إن الانتشار المتفشي للفساد أو الهلاك الذي سببته كراهية الإنسان وعنفه تجاه المسيح، هو ما أدى إلى هلاك العالم بطوفان عنيف ومهلك .

"لأَنَّكُمْ بِالدَّيْنُونَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ، وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ" (متى ٧: ٢).

"كَرَا جُبًّا. حَفَرَهُ، فَسَقَطَ فِي الْهُوَّةِ الَّتِي صَنَعَ" (مزمور ٧: ١٥).

لقد جعل الشيطان الجنس البشري يتمرد على الله الخالق. وتجاربه جعلتهم يصبلون المسيح ثانيةً بسبب شرورهم وانغماسهم في الشهوات والملذات على نحو يومي. وهذا هو ما أدى إلى انسحاب روح الله من الأرض وأدى إلى حدوث الطوفان. استمع بعناية إلى الفقرة التالية، ولاحظ بعناية التسلسل المنطقي الموجود بها:

"الشيطان هو المُهلك. لا يستطيع الله أن يبارك أولئك الذين يرفضون أن يكونوا وكلاء أمناء. كل ما يمكنه فعله هو السماح للشيطان بإنجاز عمله التدميري. نرى مصائب من كل الأنواع والدرجات آتية على الأرض، ولماذا؟ **فقوة الرب الحامية التي تمنع الشر قد انسحبت. لقد أهمل العالم كلمة الله، ويعيشون وكأنه لا إله. وكالساكنين في العالم في زمن نوح يرفضون أن يكون لديهم أي فكر بالله.** فيسود الشر إلى حد ينذر بالخطر، وتكون الأرض جاهزة للحصاد" (شهادات للكنيسة، المجلد السادس، صفحة ٣٨٨ و٣٨٩).

١. إلن هوايت تخبرنا من هو المُهلك:

"الشيطان هو المُهلك" (الشهادات، المجلد السادس، صفحة ٣٨٨).

٢. وبعد ذلك تخبرنا كيف يُسمَح للمُهلك بالقيام بعمله:

"لا يستطيع الله أن يبارك أولئك الذين يرفضون أن يكونوا وكلاء أمناء. كل ما يمكنه فعله هو السماح للشيطان بإنجاز عمله التدميري" (الشهادات، المجلد السادس، صفحة ٣٨٩).

٣. وتخبرنا بعد ذلك عن المصائب التي تحدث في كل مكان اليوم والسبب في حدوثها. وهو الشيء الذي يخبرنا إياه الأصحاح الأول من رسالة رومية. فالناس نسوا الله.

"نرى مصائب من كل الأنواع والدرجات آتية على الأرض، ولماذا؟ فقوة الرب الحامية التي تمنع الشر قد انسحبت. لقد أهمل العالم كلمة الله، ويعيشون وكأنه لا إله" (الشهادات، المجلد السادس، صفحة ٣٨٩).

٤. والمثال الذي تقدمه لنا عن الكيفية التي يحدث بها ذلك هو قصة نوح والطوفان.

"وكالساكنين في العالم في زمن نوح يرفضون أن يكون لديهم أي فكر بالله. فيسود الشر إلى حد ينذر بالخطر، وتكون الأرض جاهزة للحصاد" (الشهادات، المجلد السادس، صفحة ٣٨٩).

المسيح هو هو أمسًا واليوم وإلى الأبد. وطرقه في التعامل مع البشر لا تتغير. وكتاب الصراع العظيم يؤكد أيضًا على هذه الحقيقة، ويعرض لنا أمثلة كتابية لفسير الطريقة التي يحدث بها ذلك.

"إن الناس لا يمكنهم أن يرفضوا **إنذار الله الذي يرسله اليهم في رحمته** من دون أن يعاقبوا. لقد قدمت رسالة من السماء الى العالم في أيام نوح، وكان خلاصهم متوقفا على الكيفية التي بها يتجاوبون مع تلك الرسالة . فلأنهم رفضوا الإنذار **انسحب روح الله بعيدا من الجنس الخاطئ فهلكوا بمياه الطوفان .** وفي عهد ابراهيم كفت الرحمة عن التوسل إلى سكان سدوم الأثمة، وهلك الجميع محترقين بالنار التي أمطرتها عليهم السماء ما عدا لوطا وامرأته وابنتيه . كذلك في عهد المسيح . لقد **أعلن ابن الله لليهود غير المؤمنين في ذلك الجيل قائلا لهم: "هوذا بيتكم يترك لكم خرابا"** (متى ٢٣ : ٣٨). فلدى التطلع عبر الأجيال إلى الأيام الأخيرة تعلن قدرة الله غير المحدودة عن الذين "لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا" قائلة: "لأجل هذا سيرسل اليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب. لكي يدان جميع الذين لم يصدقوا الحق بل سروا بالإثم" (٢ تسالونيكي ٢ : ١٠ — ١٢). **فإذ يرفضون تعاليم كلمته فالله سيسحب منهم روحه ويتركهم للضلال الذي قد أحبوه"** (الصراع العظيم، صفحة ٣٩٣ و٣٩٤).

نرى هنا أيضًا الطريقة التي يحدث بها ذلك:

١. يرسل الله إنذارًا رحيمًا (ليس رسالة إكراه أو إرغام).

٢. عندما تُرفَض الرسالة رفضًا تامًا، ينسحب روح الله.

٣. يُعرّض الإنسان نفسه بذلك للهلاك.

٤. يجني الإنسان النتائج المترتبة على قراراته واختيارته.

والأمثلة المُقدمة لتوضيح الطريقة التي يحدث بها ذلك هي:

١. الهلاك بالطوفان في زمن نوح.

٢. هلاك سدوم.

٣. رفض إسرائيل للمسيح وخراب أورشليم.

٤. الهلاك في الأيام الأخيرة.

كل هذه الأمثلة تتبع نفس المنطق. ولهذا السبب ورد ذكرهم في الفقرة السابقة. أما الفقرة التالية فتقدم لنا توضيحًا أكثر لهذا المنطق والتسلسل، إذ نقرأ:

"وفي الحصار والمذبحة التي تلت ذلك هلك أكثر من مليون نفس من الشعب، والذين بقوا أحياء اقتيدوا أسرى أو بيعوا عبيداً أو سيقوا إلى روما ليزينوا موكب احتفال القائد الفاتح، أو طرحوا للوحوش في المدّرجات الرومانية أو تشتتوا وهاموا على وجوههم كجوَّابين لا وطن لهم في كل بلدان العالم.

إن اليهود هم الذين صنعوا أغلالهم التي كُبلوا بها، وهم الذين ملأوا لأنفسهم كأس النقمة . **ففي الهلاك الشامل الذي حل بهم كأمة، وفي كل الويلات التي لاحقتهم في شتاتهم، إنما كانوا يحصدون العاصفة بعد أن زرعوا الريح بأيديهم .** يقول النبي: ''هلاكك منك يا إسرائيل'' (هوشع ١٣ : ٩) — ترجمة سنة ١٨٧٨ — ''لأنك قد تعثرت بإثمك'' (هوشع ١٤ : ١). **إن آلامهم تصوَّر في غالب الأحيان كقصاص وقع عليهم بقضاء الله المباشر . وعلى هذا النحو يحاول المخادع الأعظم أن يخفي عمله .** فاليهود إذ رفضوا محبة الله ورحمته في إصرار خرجوا من تحت كنف حماية الله وحراسته، وسُمح للشيطان بأن يحكم عليهم كما يشاء . وأعمال القسوة والوحشية التي ارتكبت في خراب أورشليم هي مظهر من مظاهر قوة الشيطان الانتقامية ضد من يخضعون لسلطانه" (الصراع العظيم، صفحة ٣٤ و٣٥).

إن خراب أورشليم هو مظهر من مظاهر قوة الشيطان الانتقامية. وقد ورد ذكر هذا المثال بجانب الطوفان الذي اجتاح العالم، والنار التي أهلكت سدوم والتي ستأتي في الأيام الأخيرة.

وقد أوضح الرب لإلن هوايت طريقة حدوث ذلك:

"لقد أُعلِن لي أن دينونة الله لن تحل مباشرةً عليهم (أي البشر) من قبل الربّ، ولكنها ستحل عليهم عندما يضعون أنفسهم خارج نطاق حمايته. فهو يحاول إنذارهم وتقويمهم وتوبيخهم ويعرض عليهم السبيل الوحيد للأمان. ولكن إذا قرّر **أولئك الذين هم موضع رعايته الخاصة، أن يسلكوا في مسلكهم الخاص، بعيدًا عن روح الله، وإذا أصرّوا على عنادهم والتمسك بطريقهم الخاص رغم الإنذارات المتكررة، فهو لا يوصي ملائكته بأن تقيهم من غارات الشيطان المؤكدة ضدهم"** (أحداث زمن النهاية، صفحة ٢٤٢، الفقرة ٢).

نلاحظ مرة أخرى الطريقة التي يعمل بها الشيطان:

"إن آلامهم تصوَّر في غالب الأحيان كقصاص وقع عليهم بقضاء الله المباشر . وعلى هذا النحو يحاول المخادع الأعظم أن يخفي عمله" (الصراع العظيم، صفحة ٣٥).

صحيح أن الشيطان يستخدم الطبيعة للقيام بتجاربه، وعندما يُسمَح له يستخدمها في عمله التخريبي.

"ثم إن الشيطان يعمل أيضًا من خلال العناصر ليجمع حصاده من النفوس غير المتأهبة. لقد درس أسرار معامل الطبيعة، وهو يبذل كل ما في قدرته ليسيطر على العناصر بقدر ما يسمح له به الله. فعندما سُمح له بأن يُبلي أيوب، سرعان ما اكتسح قطعانه ومواشيه وعبيده وبيوته وأولاده في بلايا متتابعة. إن الله هو الذي يحمي خلائقه ويسيج حولهم حتى لا يهلكهم المهلك" (الصراع العظيم، صفحة ٥٣٧).

توضح روح النبوة أن أولئك الذين يؤمنون بأن الله هو الذي أهلك البشر في زمن نوح هم في وفاق مع روح قايين.

"غير أن أولئك القوم الذين سكنوا في سهل شنعار لم يكونوا يؤمنون بعهد الله بأنه لن يأتي الطوفان على الأرض مرة أخرى، بل لقد أنكر كثيرون منهم وجود الله ونسبوا كارثة الطوفان إلى تداخل أسباب طبيعية. **وكان آخرون غير هؤلاء يؤمنون بوجود كائن سام وبأنه هو الذي أهلك العالم القديم بالطوفان، لكن قلوبهم تمردت عليه كقايين**" (الآباء والأنبياء، صفحة ٩٧).

نرى إذن أن الشيطان هو مَنْ يستعمل قوة الطبيعة للهلاك، لكن قصة الطوفان أكثر تعقيدًا لأن الشيطان لم يكن هو المتحكم في العناصر في ذلك الحين.

"فارتفع عويل الناس الذين احتقروا سلطان الله فوق صوت العاصفة. **والشيطان نفسه إذ كان مضطرا لأن يكون حاضرا في وسط ميدان العناصر المتحاربة خاف على كيانه**" (الآباء والأنبياء، صفحة ٧٦).

وتستخدم روح النبوة بالفعل مصطلح "العناصر المتحاربة" من جهة عمل الملائكة الأشرار:

"حينما تقوم بتصحيح علاقتك مع الله، **إذن فلو حتى كنت مضطرًا لمواجهة العناصر المتحاربة،** سيمنحك المسيح روحه، وسيتعاون مع جهودك. **وعندما تقترب منك قوى الظلام،** ستقف ملائكة الله بجانبك وستحميك من غضب البشر" (مجلة الريفيو آند هيرالد، ٢٩ يونيو (حزيران) ١٨٨٦).

من المثير للاهتمام أنه في وقت خراب أورشليم أراد القائد الروماني تيطس حماية الهيكل في أورشليم. ومع ذلك، اكتنف جيشه روح الفوضى والاضطراب، وفقد تيطس السيطرة على الوضع.

"فاندفع تيطس إلى هناك يتبعه قواده وجنوده وأمر بأن يطفئوا لهيب النار، **لكنّ أوامره أُغفلت إذ أنّ أولئك الجنود في حُمُوّ غضبهم ألقوا بشعلات نار في الحجرات المجاورة للهيكل** ثم قتلوا بحد السيف اليهود الذين جاءوا ليحتموا فيه" (الصراع العظيم، صفحة ٣٣).

هل فقد الشيطان السيطرة على جيشه؟ وهل تجلت روح الشيطان المتمردة التي كان يتمتع بها كل جنوده

وأعوانه بشكل كامل في حالة من الفوضى والاضطراب؟ وبنفس الطريقة، هل تمردت أيضًا الخليقة التي حاول الشيطان السيطرة عليها وخرجت على النظام وصارت تعكس صورته؟

الفرق بين خراب أورشليم وهلاك الطوفان يوجد في الفرق بين الجيش الروماني الذي لا رادع له والعناصر الطبيعية التي لا رادع لها وربما الملائكة الأشرار الذين لا رادع لهم. من السهل أن نرى أن الجنود الرومان تحت سيطرة الشيطان دمروا أورشليم. ولكن ليس من الواضح أن نرى مبادئ العنف التي لدى الشيطان يُسمَح لها بالتعبير عن نفسها في الطبيعة أو ربما في أتباعه. في هذه الحالة، لم يكن للشيطان سيطرة على الطبيعة، بل سُمح للطبيعة بعكس صورته وليس صورة المسيح. والمسيح يفعل كل الأشياء بشكل لائق وبترتيب، أما الشيطان فلديه طبيعة فوضوية وعنيفة. والشيطان ممسوس بروح محبة للحرب، وقد سُمح لهذه الروح بالتعبير عن نفسها في العناصر. وهذا المبدأ نفسه سيتكرر في مجيء المسيح الثاني.

> "أما الآن فإن صرخة عذاب مميت تصدر من أفواههم أعلى من تلك التي نطقوا بها أَمَام بيلاطس حين قالوا: «اصْلِبْهُ! اصْلِبْهُ!» والتي رددت صداها شوارع أورشليم، فترتفع صرخات العويل المخيف قائلة: «إنه ابن الله! إنه مسيا الحقيقي!» ويحاولون الهروب من حضرة ملك الملوك. **وفي كهوف الأَرْض العميقة التي قد انشقت بفعل العناصر المتحاربة يحاولون الاختباء**، ولكن عبثًا" (الصراع العظيم، صفحة ٥٨٤).

من السهل علينا أن نقول إن الشخص الذي يتصرف بعنف وبصورة فوضوية يخضع لتأثير الشيطان، ولكن عندما يُسمح للطبيعة نفسها أن تعكس هذا التصرف، فإننا نُجرَّب لأن ننسب هذا إلى الله. إلا أن أبينا ليس كائنًا فوضويًا يكره النظام والترتيب. فعندما تصبح الطبيعة مضطربة وبلا نظام أو ترتيب، فذلك لأنه يُسمَح لها بإظهار روح الفوضى وفكرها، حيث أن جابلها تم طرده طردًا تامًا ونهائيًا. لقد تسلَّط الإنسان على الأرض.

> "**فَمَنْ هُوَ الإِنْسَانُ حَتَّى تَذْكُرَهُ؟** وَابْنُ آدَمَ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ؟ وَتَنْقُصَهُ قَلِيلًا عَنِ الْمَلاَئِكَةِ، وَبِمَجْدٍ وَبَهَاءٍ تُكَلِّلُهُ. **تُسَلِّطُهُ عَلَى أَعْمَالِ يَدَيْكَ.** جَعَلْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ" (مزمور ٨: ٤ – ٦).

عندما يُرفَض المسيح رفضًا تامًا ونهائيًا، فالسلطان الذي أعطي للإنسان يُعطى ليعكس فكر الشخص المختار من قبل سكانها. عندما يعطي الأب سيارة لابنه، ويقوم ابنه باصطحاب أصدقاء طائشين وفوضويين بها، فهل يُتهم الأب بقتل ابنه عندما تتعرض السيارة لحادث طائش؟

الموت يحدث بسبب الخطية وليس بسبب الله

هذا هو الحال من البدء. قال الله لآدم في الجنة:

> "وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ" (تكوين ٢: ١٧).

والكتاب المقدس يخبرنا بكل وضوح من هو السبب في هذا الموت، إذ نقرأ:

"لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ" (رومية ٦: ٢٣).

عندما أكل آدم من شجرة معرفة الخير والشر، فقد كان ذلك يعني أن آدم الآن سيقرر لنفسه ما هو خير وما هو شر. لقد ظن أن معرفته تفوق معرفة الله فيما يتعلق بما هو الأفضل لحياته ورفاهيته. وهذا الفكر يتبع نمطًا محددًا إذ نقرأ:

"وَلكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يُجَرَّبُ إِذَا انْجَذَبَ وَانْخَدَعَ مِنْ شَهْوَتِهِ. ثُمَّ الشَّهْوَةُ إِذَا حَبِلَتْ تَلِدُ خَطِيَّةً، وَالْخَطِيَّةُ إِذَا كَمَلَتْ تُنْتِجُ مَوْتًا" (يعقوب ١: ١٤ و١٥).

التجربة تقود إلى الشهوة، والشهوة تقود إلى الخطية، والخطية تقود إلى الموت. والله ليس هو خالق الخطية، وبالتالي، لا يمكنه دفع أجرتها للناس. فإذا كان الله يدفع أجرة الخطية، فيمكن اتهامه بارتكاب جريمة ابتزاز وتخويف. والأمر سيصبح كالقول: "إن لم تعبدني فسوف أقتلك أنت وعائلتك".

فما هي الخطية إذن؟

"... وَكُلُّ مَا لَيْسَ مِنَ الإِيمَانِ فَهُوَ خَطِيَّةٌ" (رومية ١٤: ٢٣).

"كُلُّ مَنْ يَفْعَلُ الْخَطِيَّةَ يَفْعَلُ التَّعَدِّيَ أَيْضًا. وَالْخَطِيَّةُ هِيَ التَّعَدِّي" (يوحنا الأولى ٣: ٤).

وما هو الناموس الذي يتم التعدي عليه؟

"إِذًا النَّامُوسُ مُقَدَّسٌ، وَالْوَصِيَّةُ مُقَدَّسَةٌ وَعَادِلَةٌ وَصَالِحَةٌ" (رومية ٧: ١٢).

وما هو الله؟

١. قدوس: "كَلِّمْ كُلَّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: تَكُونُونَ قِدِّيسِينَ لأَنِّي قُدُّوسٌ الرَّبُّ إِلهُكُمْ" (لاويين ١٩: ٢).

٢. عادل: "إِلهُ أَمَانَةٍ لاَ جَوْرَ فِيهِ. صِدِّيقٌ وَعَادِلٌ هُوَ" (تثنية ٣٢: ٤).

٣. صالح: "لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ" (لوقا ١٨: ١٩).

وإذا كان الله وناموسه قدوسين وعادلين وصالحين، فما هو الناموس بالنسبة إلى الله؟

"**إنّ شريعة الله هي صورةٌ حيّةٌ من صفاتِه.** وهي تشمل مبادئ ملكوته" (المعلم الأعظم، صفحة ١٩٩).

"إنّ الله يطلب من أولاده أن يكونوا كاملين. **فشريعته هي صورةٌ طبق الأصل لصفاته وهي مقياس كل خُلُق**" (المعلم الأعظم، صفحة ٢٠٦).

"هل تحب أن تحفظ وصايا الله، **لأن وصايا الله هي فرائض الله وأحكامه، وهي صورة حيّة من صفاته، ولا يمكنها أن تتغير كما أن صفات الله لا يمكنها أن تتغير**" (الإيمان الذي أحيا به، صفحة ١٣٠).

المسيح بصفته التعبير الكامل عن الآب

مَنْ هو الذي تجلَّت الشريعة في حياته تجليًا كاملاً – الشريعة التي هي صورة حيَّة لصفات الله؟

"فقد كانت حياة المسيح على الأرض تعبيراً كاملاً لشريعة الله" (المعلم الأعظم، صفحة ٢٠٧).

وماذا قال المسيح عن نفسه؟

"قَالَ لَهُ يَسُوعُ: أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ! **اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ**، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: أَرِنَا الآبَ؟" (يوحنا ١٤: ٩).

وماذا تخبرنا الشريعة؟

"لاَ تَقْتُلْ" (خروج ٢٠: ١٣).

هل كانت حياة المسيح تعكس شريعة أبيه على نحو كامل؟

"لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ أَنْفُسَ النَّاسِ، بَلْ لِيُخَلِّصَ" (لوقا ٩: ٥٦).

"فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ!" (متى ٢٦: ٥٢).

"لكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ" (لوقا ٦: ٢٧ و٢٨).

"وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا" (متى ٥: ٣٩ و٤٠).

"فَقَالَ يَسُوعُ: «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ». وَإِذِ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ اقْتَرَعُوا عَلَيْهَا" (لوقا ٢٣: ٣٤).

فبما أن المسيح هو تعبير كامل عن أبيه، وبما أن خدمة المسيح على الأرض كانت أيضًا تعبيرًا عن الشريعة، وحيث أن الشريعة هي صورة طبق الأصل لصفات الله، فما من شك أنه عندما يقول الله "لا تقتل"، فذلك لأنه هو لا يقتل. وإلا فإنه سيكون كالفريسيين:

"قَائِلًا: عَلَى كُرْسِيِّ مُوسَى جَلَسَ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ، **فَكُلُّ مَا قَالُوا لَكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهُ فَاحْفَظُوهُ وَافْعَلُوهُ، وَلكِنْ حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ لاَ تَعْمَلُوا، لأَنَّهُمْ يَقُولُونَ وَلاَ يَفْعَلُونَ**" (متى

٢٣: ٢ و٣).

هل يقول الله ولا يفعل ما يقوله؟ هل الماء العذب والمر يأتي من نفس النافورة؟ هل يخبرنا ألا نقتل ثم يستدير ويقضي على المليارات من البشر صائرًا بذلك أعظم سفاح في تاريخ الكون؟ لم يقتل الرب يسوع أي شخص على الإطلاق، والرب يسوع هو التعبير الكامل لأبيه، وهو الشيء المُشار إليه بوضوح في الشريعة التي تنهي عن القتل. كونوا قديسين لأنني أنا قدوس. تحرروا من العنف لأنني أنا خالي من العنف. عندما تحدث إشعياء عن المسيح، قال:

"وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ، وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ. **عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْمًا [عنفًا]**، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ" (إشعياء ٥٣: ٩).

لم يعمل المسيح عنفًا. فهو التعبير الكامل عن أبيه. وبالتالي فالآب لم يفعل عنفًا أو ظلمًا. وهو بريء من التهم التي يوجهها له الملايين من المسيحيين.

"فَمَاذَا إِنْ كَانَ قَوْمٌ لَمْ يَكُونُوا أُمَنَاءَ؟ أَفَلَعَلَّ عَدَمَ أَمَانَتِهِمْ يُبْطِلُ أَمَانَةَ اللهِ؟ حَاشَا! بَلْ لِيَكُنِ اللهُ صَادِقًا وَكُلُّ إِنْسَانٍ كَاذِبًا. كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «لِكَيْ تَتَبَرَّرَ فِي كَلاَمِكَ، وَتَغْلِبَ مَتَى حُوكِمْتَ». وَلكِنْ إِنْ كَانَ إِثْمُنَا يُبَيِّنُ بِرَّ اللهِ، فَمَاذَا نَقُولُ؟ أَلَعَلَّ اللهَ الَّذِي يَجْلِبُ الْغَضَبَ ظَالِمٌ؟ أَتَكَلَّمُ بِحَسَبِ الإِنْسَانِ. حَاشَا! فَكَيْفَ يَدِينُ اللهُ الْعَالَمَ إِذْ ذَاكَ؟" (رومية ٣: ٣ – ٦).

ما هي الطريقة التي ينتقم بها الله؟

"لاَ تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ. فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ. لأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هذَا تَجْمَعْ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ». لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ" (رومية ١٢: ١٩ – ٢١).

أفكار الله ليست أفكارنا. الطريقة التي ينتقم بها الله ليست هي الطريقة التي ننتقم بها نحن. هكذا تعمل صفات الله. ولنقرأ بعناية وحرص كل جزء لأن ذلك سيساعدنا في التعرف على صفات الآب وطبيعته الحقيقية.

"فَاجْتَازَ الرَّبُّ قُدَّامَهُ، وَنَادَى الرَّبُّ: الرَّبُّ إِلهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ. حَافِظُ الإِحْسَانِ إِلَى أُلُوفٍ. غَافِرُ الإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْخَطِيَّةِ. وَلكِنَّهُ لَنْ يُبْرِئَ إِبْرَاءً. مُفْتَقِدٌ إِثْمَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ، وَفِي أَبْنَاءِ الأَبْنَاءِ، فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ" (خروج ٣٤: ٦ و٧).

"اِحْمَدُوا الرَّبَّ لأَنَّهُ صَالِحٌ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ" (مزمور ١٠٧: ١).

الله رحيم ومحب للحرية على الدوام، ولذلك فهو يسمح للبشر بجني النتائج المترتبة على أفعالهم وقراراتهم. ويفتقد ذنوبهم على رؤوسهم. فإن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضًا.

الأكذوبة العظيمة التي أدت إلى الخوف من الموت

غير الشيطان معنى التعليمات الأولى التي أعطاها الله لآدم. أخبر الله آدم أنه إذا اختار أن يقرر بنفسه ما هو الخير وما هو الشر فإن ذلك سيؤدي إلى هلاكه. ولما أكل آدم الثمرة، أخبره الشيطان أن الله سيحاول قتله. لقد أُبدل كلام الله من كونه رسالة رحمة إلى إنجيل قائم على الإكراه والإرغام.

"فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيْنَ أَنْتَ؟». فَقَالَ: سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ" (تكوين ٣: ٩ و١٠).

لقد صوَّر الشيطان الله على أنه الشخص الذي لجأ للمراوغة والقوة لضمان ولاء آدم وذلك بإخافته من الموت. لقد كانت ضربة بارعة لأنه عندما صدق آدم كذبة الحيَّة، فقد صار الإله الجديد الذي عبده آدم مراوغًا يستخدم أسلوب التخويف من الموت لضمان الحصول على ولائه. خاف آدم من الله ظنًا منه أنه قاتل فوضعه ذلك في عبودية. هذه هي العبودية التي أتى المسيح ليحررنا منها:

"فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، **وَيُعْتِقَ أُولئِكَ الَّذِينَ- خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ- كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ**" (عبرانيين ٢: ١٤ و١٥).

"خَلاَصٍ مِنْ أَعْدَائِنَا وَمِنْ أَيْدِي جَمِيعِ مُبْغِضِينَا. لِيَصْنَعَ رَحْمَةً مَعَ آبَائِنَا وَيَذْكُرَ عَهْدَهُ الْمُقَدَّسَ، الْقَسَمَ الَّذِي حَلَفَ لإِبْرَاهِيمَ أَبِينَا: **أَنْ يُعْطِيَنَا إِنَّنَا بِلاَ خَوْفٍ، مُنْقَذِينَ مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِنَا**، نَعْبُدُهُ" (لوقا ١: ٧١ – ٧٤).

وكيف نُنقَذُ من أيدي أعدائنا؟

"لاَ خَوْفَ فِي الْمَحَبَّةِ، بَلِ الْمَحَبَّةُ الْكَامِلَةُ تَطْرَحُ الْخَوْفَ إِلَى خَارِجٍ لأَنَّ الْخَوْفَ لَهُ عَذَابٌ. وَأَمَّا مَنْ خَافَ فَلَمْ يَتَكَمَّلْ فِي الْمَحَبَّةِ"

ونكرر، ما هو الخوف الذي يضعنا جميعًا تحت العبودية؟

"وَيُعْتِقَ أُولئِكَ الَّذِينَ- خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ- كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ" (عبرانيين ٢: ١٥).

ومن أين نشأ هذا الخوف؟

"فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيْنَ أَنْتَ؟». فَقَالَ: **سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ**، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ" (تكوين ٣: ٩ و١٠).

ما الذي كان يخشاه آدم؟ لندع أحفاد آدم يجيبون على هذا السؤال.

"وَعَطِشَ هُنَاكَ الشَّعْبُ إِلَى الْمَاءِ، وَتَذَمَّرَ الشَّعْبُ عَلَى مُوسَى وَقَالُوا: **لِمَاذَا أَصْعَدْتَنَا مِنْ مِصْرَ لِتُمِيتَنَا وَأَوْلاَدَنَا** وَمَوَاشِيَنَا بِالْعَطَشِ؟" (خروج ١٧: ٣).

"وَتَذَمَّرَ عَلَى مُوسَى وَعَلَى هَارُونَ جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَالَ لَهُمَا كُلُّ الْجَمَاعَةِ: لَيْتَنَا مُتْنَا فِي أَرْضِ مِصْرَ، أَوْ لَيْتَنَا مُتْنَا فِي هذَا الْقَفْرِ! **وَلِمَاذَا أَتَى بِنَا الرَّبُّ إِلَى هذِهِ الأَرْضِ لِنَسْقُطَ بِالسَّيْفِ؟** تَصِيرُ نِسَاؤُنَا وَأَطْفَالُنَا غَنِيمَةً. أَلَيْسَ خَيْرًا لَنَا أَنْ نَرْجعَ إِلَى مِصْرَ؟"

"وَتَكَلَّمَ الشَّعْبُ عَلَى اللهِ وَعَلَى مُوسَى قَائِلِينَ: لِمَاذَا أَصْعَدْتُمَانَا مِنْ مِصْرَ لِنَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟ لأَنَّهُ لاَ خُبْزَ وَلاَ مَاءَ، وَقَدْ كَرِهَتْ أَنْفُسُنَا الطَّعَامَ السَّخِيفَ" (سفر العدد ٢١: ٥).

ما الذي جعل الشعب يموتون في البرية؟ إيمانهم بأن الله كان يريد قتلهم. مِنْ أين جاء هذا الاعتقاد؟ جاء من الشيطان الذي بدوره أعطاه لآدم وحواء. إنها أفظع وأشرّ كذبة على أبينا المحب والرؤوف والرحيم. فهي تُبقي الجنس البشري مقيدًا في نير العبودية إذ تخلق خوفًا، والخوف يلد تمردًا، والتمرد يؤدي إلى الخطية التي تؤدي إلى الموت.

الْمَسِيح قَدْ أَبْطَلَ الْمَوْت

لهذا طلب يسوع من الآب أن يأتي إلى هذا العالم ويُظهر لنا عملية الموت (أي الطريق المؤدي للموت). لقد كان المسيح سيكشف الحيَّة المختبئة في الظلال التي تتهم الله بأنه محب للقتل وسفك الدماء مع أنه كان يتستر على أفعاله الشريرة.

كيف يبيّن لنا موت المسيح أن الله ليس بقاتل؟

- الله لم يكن هو مَنْ حرَّك الفريسيين وأحثَّهم أن يطلبوا موت المسيح، بل الشيطان.
- الله لم يكن هو الذي جعل النعاس يأخذ التلاميذ، بل الشيطان.
- الله لم يكن هو الذي حرَّض يهوذا على خيانة المسيح، بل الشيطان.
- الله لم يكن هو الذي جعل التلاميذ يهربون، بل الشيطان.
- الله لم يكن هو الذي ألهم الفريسيين بالفكرة المتعلقة بصلب المسيح، بل الشيطان.
- الله لم يكن هو الذي استخدم الشعب للضغط على بيلاطس والتأثير عليه، بل الشيطان.
- الله لم يكن هو الذي ألهم البشر بضرب المسيح والبصق عليه ونتف خديه، بل الشيطان.
- والله لم يكن هو الذي ألهم الجنود الرومان بصلب المسيح، بل الشيطان.

وعلى الرغم من كل هذا، فقد كان الله قادرًا على إنقاذ ابنه من كل ما كان يفعله الشيطان. إلا أن المسيح أخبرنا:

"لِهذَا يُحِبُّنِي الآبُ، لأَنِّي أَضَعُ نَفْسِي لآخُذَهَا أَيْضًا. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي، بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضًا. هذِهِ الْوَصِيَّةُ قَبِلْتُهَا مِنْ أَبِي" (يوحنا ١٠: ١٧ و١٨).

لما كان الله الآب ليسمح أبدًا لابنه أن يموت لولا توسل المسيح لأبيه كي يسمح له بتعريف الكون على الشيء الذي يؤدي إلى الموت. فموت الصليب يبين أن الخطية هي التي تؤدي إلى الموت، وأن الله ليس هو السبب في ذلك.

"ولم يستطع المُخَلِّص أن يخترق ببصره أبواب القبر. ولم يصور له الرجاء أنه سيخرج من القبر ظافرا، ولا أخبره عن قبول الآب لذبيحته. **وكان يخشى أن تكون الخطية كريهة جدا في نظر الله بحيث يكون انفصال أحدهما عن الأخر أبديا. ولقد أحس المسيح بالعذاب الذي يحس به الخاطئ عندما لا تعود الرحمة تتوسل، لأجل الجنس البشري الأثيم. إن إحساسه بالخطية وهي تصب غضب الآب على يسوع بديل الخطاة هو الذي جعل الكأس التي شربها مرة جدا وسحق قلب ابن الله"** (مشتهى الأجيال، صفحة ٧٣٦).

الخطية هي التي سببت انفصال الله عن ابنه. وغضب الله هو ابتعاده. وغضب الله هو فعله الغريب المتمثل في الابتعاد عن الخاطئ وتركه يجني نتيجة قراراته واختياراته.

"لأَنَّهُ كَمَا فِي جَبَلِ فَرَاصِيمَ يَقُومُ الرَّبُّ، وَكَمَا فِي الْوَطَاءِ عِنْدَ جِبْعُونَ يَسْخَطُ لِيَفْعَلَ فَعْلَهُ، فَعْلَهُ الْغَرِيبَ، وَلِيَعْمَلَ عَمَلَهُ، عَمَلَهُ الْغَرِيبَ" (إشعياء ٢٨: ٢١).

"**وَأُحَوِّلُ وَجْهِي عَنْهُمْ** فَيُنَجِّسُونَ سِرِّي، وَيَدْخُلُهُ الْمُعْتَنِفُونَ وَيُنَجِّسُونَهُ" (حزقيال ٧: ٢٢).

"**فَيَشْتَعِلُ غَضَبِي عَلَيْهِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، وَأَتْرُكُهُ وَأَحْجُبُ وَجْهِي عَنْهُ،** فَيَكُونُ مَأْكَلَةً، وَتُصِيبُهُ شُرُورٌ كَثِيرَةٌ وَشَدَائِدُ حَتَّى يَقُولَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ: أَمَا لأَنَّ إِلهِي لَيْسَ فِي وَسَطِي أَصَابَتْنِي هذِهِ الشُّرُورُ! **وَأَنَا أَحْجُبُ وَجْهِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ** لأَجْلِ جَمِيعِ الشَّرِّ الَّذِي عَمِلَهُ، إِذِ الْتَفَتَ إِلَى آلِهَةٍ أُخْرَى" تثنية ٣١: ١٧ و١٨).

"**لاَ تَحْجُبْ وَجْهَكَ عَنِّي. لاَ تُغَيِّبْ بِسُخْطٍ عَبْدَكَ.** قَدْ كُنْتَ عَوْنِي فَلاَ تَرْفُضْنِي وَلاَ تَتْرُكْنِي يَا إِلهَ خَلاَصِي" (مزمور ٢٧: ٩).

"حِينَئِذٍ يَصْرُخُونَ إِلَى الرَّبِّ فَلاَ يُجِيبُهُمْ، **بَلْ يَسْتُرُ وَجْهَهُ عَنْهُمْ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ** كَمَا أَسَاءُوا أَعْمَالَهُمْ" (ميخا ٣: ٤).

يرجى مراجعة الكتيب الذي بعنوان "عمل الله الغريب" لدراسة مستفيضة حول ما يقوله الكتاب عن غضب الله.

عندما حمل المسيح خطايانا المتمثلة في رفض الله، فقد اضطر الله أن يحوّل وجهه. وعندما حوَّل الله وجهه، صرخ المسيح:

"وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: «إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيْ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟" (متى ٢٧: ٤٦).

لماذا ترك الله ابنه كما حدث بالفعل؟ فعل ذلك ليظهر لنا الطريقة التي يتعامل بها مع الخطية – الخطية المتمثلة في رفضه. ففي نهاية المطاف يترك للإنسان حرية الاختيار ويعطيه مبتغاه، إلا أنه لا يقف من الخاطئ موقف منفذ الحكم ضد العصيان. فالله لم يُرسل نارًا حرفيةً من السماء لتأكل المسيح وهو على

الصليب، ولم يضرب الصليب بالبرق ويسحق ابنه ويقطعه إربًا إربًا، ولم يدمره ويقضي عليه بقبضة يديه. لكنه ابتعد لأن البشر رفضوه ولم يرغبوا في الارتباط به أو أن يكون لهم أي علاقة به على الإطلاق.

"**مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ**، رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحَزَنِ، وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا، مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ. **لكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللهِ وَمَذْلُولًا.** وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا" (إشعياء ٥٣: ٣ – ٥).

كان المسيح يحمل هذه الإرادة البشرية على عاتقه. لقد جُرح لأجل معصيتنا المتمثلة في رفض الحق. وحتى يكشف عن الطبيعة الحقيقية للموت، كان على الله أن يحترم هذا الرفض ويبتعد بعيدًا. وكان على المسيح أن يحصل على إذن من أبيه ليبين أن الخطية هي التي تسبب الموت وليس الله.

ولما صرخ المسيح بصوت كصوت البوق قائلاً: "قد أكمل" ثم أسلم روحه لأبيه ومات، فقد انكشف الموت. وقد انكشفت الحيَّة بصفته المُهلِك. لقد انكشف الشيطان وملائكته أمام الكون، وتوقفت الأسئلة التي كانت متبقية في أذهان الملائكة القديسين والعوالم غير الساقطة. سقط الشيطان مثل البرق من السماء إلى الأرض.

"فَقَالَ لَهُمْ: رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطًا مِثْلَ الْبَرْقِ مِنَ السَّمَاءِ" (لوقا ١٠: ١٨).

"الَّذِي خَلَّصَنَا وَدَعَانَا دَعْوَةً مُقَدَّسَةً، لاَ بِمُقْتَضَى أَعْمَالِنَا، بَلْ بِمُقْتَضَى الْقَصْدِ وَالنِّعْمَةِ الَّتِي أُعْطِيَتْ لَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ، وَإِنَّمَا أُظْهِرَتِ الآنَ بِظُهُورِ مُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، **الَّذِي أَبْطَلَ الْمَوْتَ وَأَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُودَ بِوَاسِطَةِ الإِنْجِيلِ**" (تيموثاوس الثانية ١: ٩ و١٠).

منذ تأسيس العالم قرر الله وابنه الكشف عن طبيعة الموت وعلاقته بالخطية. وعندما مات المسيح على الصليب، انكشف سبب الموت وبالتالي أبطل سلطانه.

"وَلِلْقَادِرِ أَنْ يُثَبِّتَكُمْ، حَسَبَ إِنْجِيلِي وَالْكِرَازَةِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، **حَسَبَ إِعْلاَنِ السِّرِّ الَّذِي كَانَ مَكْتُومًا فِي الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ، وَلكِنْ ظَهَرَ الآنَ، وَأُعْلِمَ بِهِ جَمِيعُ الأُمَمِ بِالْكُتُبِ النَّبَوِيَّةِ** حَسَبَ أَمْرِ الإِلهِ الأَزَلِيِّ، لإِطَاعَةِ الإِيمَانِ" (رومية ١٦: ٢٥ و٢٦).

"وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ. قَالَ هذَا مُشِيرًا إِلَى أَيَّةِ مِيتَةٍ كَانَ مُزْمِعًا أَنْ يَمُوتَ" (يوحنا ١٢: ٣٢ و٣٣).

وهذا يعني أن المسيح أبطل بموته الفكرة القائلة بأن الله هو الذي يسبب الموت. فسلطان الموت هو الضلالة الشيطانية القائلة بأن الله يقتل أولئك الذين يقاومونه.

"فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذلِكَ فِيهِمَا، **لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ**" (عبرانيين ٢: ١٤).

لقد فضح المسيح الكذبة القائلة بأن الإنذار الأول الذي أعطاه الله لآدم كان تهديدًا بقتله. لهذا يقدم الصليب

تحريرًا من العبودية، عبودية الخوف أو سلطان الموت. وقد كشف المسيح ما يحدث للخاطئ عندما مات. لقد كشف أن الآب لم يقتل ابنه بل بالأحرى تحوَّل وابتعد وفقًا لرغبة الخاطئ وإرادته. وقد حمل المسيح رغبتنا البشرية المتمثلة في رفض الله على عاتقه. احترم الله هذا الرفض وأسلم ابنه.

> **"في يوم الدينونة الأخير سيدرك كل إنسان هالك طبيعة رفضه للحق.** وهناك سيقدم الصليب، فكل عقل أظلمته المعاصي سيرى مقام الصليب. وأمام منظر جلجثة بذبيحها السِّري العجيب سيقف الخطاة مدانين. كل الأعذار الكاذبة ستعصف بها الرياح حينئذٍ ولن يكون لها وجود. وسيبدو ارتداد الناس كما هو في شناعته، وسيرى الناس ماذا كان اختيارهم. إن كل تساؤل عن الحق والخطإ في الصراع الطويل المدى سيظهر حينئذٍ واضحا كل الوضوح" (مشتهى الأجيال، صفحة ٤٧).

ينير الصليب الحياة والخلود من خلال الإنجيل، ويكشف لنا أن الله ليس هو خالق الموت، وأن الشيطان كذاب وقتال للناس من البدء.

فإن كان المسيح قد أبطل بالفعل سلطان الموت، فلماذا سيواجه الناس الموت؟ لأنهم مستمرون في تصديق الأكذوبة القائلة بأن الله يقتلهم بسبب خطاياهم. وعندما ينظرون لهذه الأكذوبة، فإنهم يتغيرون ويصيرون مثلها. وهذا يجعلهم أيضًا يظنون أن كل عرض رحمة من الله هو في الواقع وسيلة للتلاعب بهم لأنهم لو لم يقبلوا العرض فسيقتلهم.

دعونا ننظر إلى الصليب ونرى أن المسيح أبطل الموت لأجل كل رجل وامرأة وطفل. لقد كشف الحيَّة على الراية. لقد أرانا بالفعل أن الآب محبة وليس فيه ظلمة على الإطلاق. حينئذ نكون مستعدين لفهم معنى ما قاله المسيح في الكلمات التالية:

"قَالَ لَهُمْ: «تَنَحَّوْا، فَإِنَّ الصَّبِيَّةَ لَمْ تَمُتْ لكِنَّهَا نَائِمَةٌ». فَضَحِكُوا عَلَيْهِ" (متى ٩: ٢٤).

يستمر الشيطان في إخفاء نفسه في الأحداث المدمرة التي تحدث في العالم. ويجعل الناس يعتقدون أن الله هو المسؤول عن الأشياء التي يفعلها هو بنفسه. وعندما يتم الإيمان بأن الله يهلك الناس، فالخوف ينشأ ويظل الإنسان في عبوديته. وحتى يأتي الوقت الذي يتم التبشير فيه بإنجيل يخلو من التهديد بالموت القادم مباشرةً من عند الله، فلا بد أن يُفهم دائمًا على أنه إنجيل قائم على الابتزاز والترهيب والتخويف.

إن الخوف من الموت لن يسمح للإنسان أن يستريح بالكامل في يدي الله. وفي هذا السياق، لا يمكن فهم صرخة الرحمة إلا على أنها تهديد مستتر بالهلاك.

إعلان محبة الآب

يكشف الكتاب المقدس بوضوح أننا لا نخلص بالأعمال. تظهر قصة الابن الضال أن الأب قبله ليس لأنه كان صالحًا بل لأنه كان ابنه. تكشف رسالة كتاب "الصراع على الهوية" أننا ذو قيمة في عيني الله ليس لأننا نفعل ما يشاء بل لأننا أولاده. ما نفعله لا يمكن أن يغير محبته لنا.

"وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلًا: هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ" (متى ٣: ١٧).

"لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فِي الْمَحْبُوبِ" (أفسس ١: ٦).

"هذا، وإن ذلك القول الذي خوطب به يسوع عند نهر الأردن حين أعُلن قائلاً: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت" يشمل البشرية كلها. لقد خاطب الله يسوع على أنه نائبنا، إذ مع كل ما فينا من خطايا وضعفات لم نُطرَح خارجا بل تبنانا على رغم تفاهتنا بنعمته التَي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فِي الْمَحْبُوبِ" (مشتهى الأجيال، صفحة ٩٧).

إن كنا نؤمن حقًا أننا مقبولون في المحبوب ليس لصلاح فينا ولكن لأنه محبة، فعلينا إذن أن نؤمن أننا سنكون دائمًا ذا قيمة في نظر الله.

إن التقدم المنطقي لرسالة الهوية ذات القيمة من خلال العلاقة مع أبينا هو أنه لا شيء يمكن أن يجعلنا نفقد القيمة في عينيه، وبالتالي فهو لن يطرح أو يُلقي بشيء ذا قيمة بالنسبة له. والفكرة القائلة بأن الله بنفسه يقتل الأشرار ويهلكهم ترسل رسالة مفادها أن الأشرار لم يعد لهم قيمة بالنسبة له. وعندما نقرأ هذه الروايات ونتوصل إلى مثل هذا الاستنتاج، فإننا نؤمن بإله لا يعطي قيمة للبشر على الإطلاق لأنهم لا يفعلون ما يطلبه منهم. ويصبح موت الأشرار دليلاً قويًا وواضحًا على أن الخطاة ليس لديهم قيمة في نظر الله.

كم منا على استعداد للتخلي عن شخص غالي علينا وله قيمة في عيننا؟ وكبشر، فلو كنا لا نزال نرى قيمة في شخص ما، فلن نتخلى أبدًا عنه أو نتخلص منه. فلو نحن كبشر لن نفعل ذلك، فكيف يمكن أن يتخلّص الله من أي من أبنائه؟ لا يمكنه أن يفعل هذا أبدًا. لا يمكنه إلا أن يمنح أولئك الذين يرفضونه الحق ليموتوا. ولا يمكنه إلا أن يسمح لهم بالحرية المتمثلة في اختيار الموت بدلاً منه.

"وَمَنْ يُخْطِئُ عَنِّي يَضُرُّ نَفْسَهُ. كُلُّ مُبْغِضِيَّ يُحِبُّونَ الْمَوْت" (أمثال ٨: ٣٦).

لقد أبطل المسيح الموت. وقد قام بذلك منذ تأسيس العالم، إلا أن ذلك لم يتجلى بالكامل حتى وقت الصليب. وقصة الضربات التي حلَّت على مصر والطوفان وسدوم وعمورة وغيرها تشير إلى الصليب، إلا أنه لم يتم الإعلان الكامل عنها. ومنذ الوقت الذي أُعلِن فيه الصليب، فليس هنالك عذر للإيمان بأن الله هو خالق الموت.

لا مكان لقبول العبودية والخوف من قيام الله بقتل من يرفضه. والطريقة الوحيدة التي يمكن بها للشخص أن يرفض بها حقيقة إبطال الموت هي باستمراره في الإيمان بأن الله سيقتل أولئك الذين لا يتصرفون بالطريقة التي يريدهم التصرف بها. فهذا الشخص وأمثاله مستمرون في إيمانهم بأن الله يستخدم الإكراه والإرغام لجعل الناس يغيرون سلوكهم.

"فاستخدام القوة والقهر مناقض لمبادئ حكم الله، فهو لا يرغب في غير خدمة المحبة، والمحبة لا تجيء بالأمر أو الإكراه والإرغام. ولا يمكن اكتساب محبة القلوب بالعنف أو قوة السلطان، فالمحبة لا يوقظها سوى المحبة. إن من يعرف الله يحبه. ولابد من إظهار صفات الله على نقيض صفات الشيطان. ولم يكن يستطيع إنجاز هذا العمل غير واحد في كل الكون. فذاك الذي قد عرف علو محبة الله

وعمقها كان يستطيع دون سواه أن يعرّف الناس بها. فكان لابد من أن يشرق «شَمْسُ الْبِرِّ وَالشِّفَاءُ فِي أَجْنِحَتِهَا» مبددا ظلمات هذا العالم الداجية (مشتهى الأجيال، صفحة ١٩).

الشفاء الذي في أجنحة المسيح هو أنه أبطل الموت. لقد أبطل الفكرة القائلة بأن الله يقتل أعداءه بيديه. والكذبة القائلة بأن الله يقتل أعداءه هي التي أعطت الشيطان أجنحة لبناء مملكة عبودية بالخوف. وعندما مات المسيح وكشف عن الطريقة التي يحدث بها الموت، قُصِمت أجنحة الشيطان وسقط على الأرض. أولئك الذين ينظرون إلى المسيح سوف سيرتفعون معه على أجنحته الشافية وسيركبون مرتفعات الأرض. وعندما جعل الله الحية تسير على بطنها وتأكل تراب الأرض، فقد تنبأ بهلاك مملكة الشيطان وذلك بفضح أكاذيبه وضلالاته القائلة بأن الله يتلاعب بالبشر ويجبرهم على طاعته من خلال تهديدهم بالموت.

نور الصليب في الطوفان

عندما رأى الله شر العالم، فقد أوضح أنه سيكون هناك حد لذلك.

"فَقَالَ الرَّبُّ: **لاَ يَدِينُ رُوحِي فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ**، لِزَيَغَانِهِ، هُوَ بَشَرٌ. وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً" (تكوين ٦: ٣).

كان الحد هو مقدار الوقت الذي يجاهد فيه روح الله مع الإنسان لخلاصه. لقد كان روح الله يتضرَّع ليلاً ونهارًا لأولاده، وكان يناشدهم ويتوسل إليهم ويتواصل معهم يومًا بعد يوم. ومع ذلك نقرأ كيف تجاوبوا مع جهاد الروح هذا.

"لأَنَّ غَضَبَ اللهِ مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِمِ، الَّذِينَ يَحْجِزُونَ الْحَقَّ بِالإِثْمِ" (رومية ١: ١٨).

لقد كان الناس قبل الطوفان يُغرِقون صوت الضمير. وكانوا يرفضون الصوت الوديع الذي كان يتوسَّل إليهم كل يوم، ولم ينتبهوا لأية إنذارات بل واصلوا السير في طرقهم الرديئة. فقمعهم هذا لروح المسيح كان أشبه بالإمساك به واحتجازه في محاولة لإغراقه. وإذ كان روح المسيح يُكدَّر ويُحزَن من يوم إلى يوم، كان المسيح في أوقات كثيرة يشعر أنه مغلوب على أمره.

"وَلكِنَّهُمْ تَمَرَّدُوا وَأَحْزَنُوا رُوحَ قُدْسِهِ، فَتَحَوَّلَ لَهُمْ (أمتنع عن أن يكون) عَدُوًّا، وَهُوَ حَارَبَهُمْ (جاهد من أجلهم)" (إشعياء ٦٣: ١٠).

وإذ اقترب الناس من الهلاك، صارت توسلات المسيح لأجلهم أكثر إلحاحًا وتحوَّل صوته لهم لصوت عدو. وشهادته عليهم قوبلت وعوملت بالازدراء والكراهية.

"وَنَفْسِي قَدِ ارْتَاعَتْ جِدًّا. وَأَنْتَ يَا رَبُّ، فَحَتَّى مَتَى؟ عُدْ يَا رَبُّ. نَجِّ نَفْسِي. خَلِّصْنِي

مِنْ أَجْلِ رَحْمَتِكَ. لأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْمَوْتِ ذِكْرُكَ. فِي الْهَاوِيَةِ مَنْ يَحْمَدُكَ؟ تَعِبْتُ فِي تَنَهُّدِي. أُعَوِّمُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ سَرِيرِي بِدُمُوعِي. أُذَوِّبُ فِرَاشِي. سَاخَتْ مِنَ الْغَمِّ عَيْنِي. شَاخَتْ مِنْ كُلِّ مُضَايِقِيَّ. اُبْعُدُوا عَنِّي يَا جَمِيعَ فَاعِلِي الإِثْمِ، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ صَوْتَ بُكَائِي" (مزمور ٦: ٣ – ٨).

إن آلام المسيح لا يمكن أن تكون مخفية. فلو رفض الناس قبول صليب المسيح، لصرخت الحجارة الجامدة شهادةً على آلام خالقها. فبما أن المسيح هو خالق هذا العالم، فالعالم المادي يستجيب أيضًا لآلامه.

"فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْخَلِيقَةِ تَئِنُّ وَتَتَمَخَّضُ مَعًا إِلَى الآنَ" (رومية ٨: ٢٢).

"ذهل الملائكة وهم يرون عذابات المُخَلصّ ويأسه. وحجب الأجناد السماويون لِوجوههم حتى لا يروا ذلك المنظر المخيف. **بل حتى الطبيعة الجامدة عبرت عن عطفها على مبدعها المهان وهو يحتضر.** فالشمس رفضت أن تنظر إلى ذلك المشهد الرهيب. لقد كانت أشعتها تملأ الأرض نورًا في وقت الظهيرة، ولكنها فجأة بدت أنها اختفت عن الوجود وقد غطت الصليب ظلمة داجية كما لو كانت غطاء نعش. "كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ". **لم يكن كسوف الشمس أو أي سبب آخر طبيعي هو علة هذا الظلام** الذي كان كثيفا كظلام نصف الليل دون أن يضيء فيه القمر أو النجوم" (مشتهى الأجيال، صفحة ٧٣٦ و٧٣٧).

لاحظ بعناية استجابة الطبيعة لآلام المسيح. ومن المهم أيضًا أن نرى أن استجابة الطبيعة هذه لم تكن ناتجة عن أسباب طبيعية، بل كانت استجابة لقتل خالقها. ونكرر للتأكيد:

"بل حتى **الطبيعة الجامدة عبرت عن عطفها** على مبدعها المهان وهو يحتضر ... **لم يكن كسوف الشمس أو أي سبب آخر طبيعي** هو علة هذا الظلام" (مشتهى الأجيال، صفحة ٧٣٦).

نجد في المزمور الثامن عشر أن آلام المسيح على الصليب تظهر في سياق الطوفان.

"اِكْتَنَفَتْنِي حِبَالُ الْمَوْتِ، وَسُيُولُ الْهَلاَكِ أَفْزَعَتْنِي. حِبَالُ الْهَاوِيَةِ حَاقَتْ بِي. أَشْرَاكُ الْمَوْتِ انْتَشَبَتْ بِي" (مزمور ١٨: ٤ و٥).

وتخبرنا روح النبوة أن المزمور الثامن عشر هو نبوءة عن الصلب.

"لقد كان المسيح محتقرًا ومخذولاً من الناس، رجلُ أوجاع ومختبر الحزن. وبأيادي آثمة أُخِذ وصُلِب. والمرنم في مزموره يتحدث عن موته فيقول: "اِكْتَنَفَتْنِي حِبَالُ الْمَوْتِ، وَسُيُولُ الْهَلاَكِ أَفْزَعَتْنِي. حِبَالُ الْهَاوِيَةِ حَاقَتْ بِي. أَشْرَاكُ الْمَوْتِ انْتَشَبَتْ بِي" (مجلة الريفيو آند هيرالد، ١٧ يوليو (تموز) ١٩٠٠، الفقرة رقم ١١).

تتحدث بعض الأوصاف والتعبيرات في مزمور ١٨ بلغة الطوفان بينما يتحدث البعض الآخر عن النار الآكلة للإشارة إلى أحداث سدوم وعمورة ونهاية الأشرار الأخيرة. وإذ جاهد المسيح مع الناس كي يبتعدوا عن الشر ويحيدوا عنه، فقد غمره طوفان فجورهم وطرقهم الشريرة:

"فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ" (تكوين ٦: ٦).

لقد كان الناس قبل الطوفان يُشهّرون المسيح جاعلينه عرضة للعار. وكانت نفسه في عذاب وحزن شديدين بسبب شرهم. وفي النهاية صرخ على صليب ما قبل الطوفان هذا قائلاً: "أنا عطشان!". فتوقف روح الله عن التوسل والتضرع لأجل الإنسان. وإذ أعلنوا رفضهم له لمئات السنين، فقد وافق الآب أخيرًا على قرارهم.

> "فلأنهم رفضوا الإنذار **انسحب روح الله بعيدا من الجنس الخاطئ** فهلكوا بمياه الطوفان" (الصراع العظيم، صفحة ٣٩٣).

ولم يكن من الممكن منع الطبيعة الجامدة من الكرازة بالإنجيل من خلال أحداث الطوفان. لاحظ العلاقة بين قصة الطوفان والصليب في النصوص التالية:

١. يدعو / يصرخ

"اِكْتَنَفَتْنِي حِبَالُ الْمَوْتِ، **وَسُيُولُ الْهَلاَكِ أَفْزَعَتْنِي**. حِبَالُ الْهَاوِيَةِ حَاقَتْ بِي. أَشْرَاكُ الْمَوْتِ انْتَشَبَتْ بِي. **فِي ضِيقِي دَعَوْتُ الرَّبَّ**، وَإِلَى إِلهِي صَرَخْتُ، فَسَمِعَ مِنْ هَيْكَلِهِ صَوْتِي، وَصُرَاخِي قُدَّامَهُ دَخَلَ أُذُنَيْهِ" (مزمور ١٨: ٦ – ٦).

"وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ **صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: «إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟»** أَيْ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟" (متى ٢٧: ٤٦).

٢. ارتجاج الأرض

"**فَارْتَجَّتِ الأَرْضُ وَارْتَعَشَتْ**، أُسُسُ الْجِبَالِ ارْتَعَدَتْ وَارْتَجَّتْ لأَنَّهُ غَضِبَ" (مزمور ١٨: ٧).

"وَإِذَا حِجَابُ الْهَيْكَلِ قَدِ انْشَقَّ إِلَى اثْنَيْنِ، مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلُ. **وَالأَرْضُ تَزَلْزَلَتْ**، وَالصُّخُورُ تَشَقَّقَتْ" (متى ٢٧: ٥١).

٣. ظلمة

"طَأْطَأَ السَّمَاوَاتِ وَنَزَلَ، **وَضَبَابٌ (ظلام) تَحْتَ رِجْلَيْهِ** (وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ)" (مزمور ١٨: ٩).

"**جَعَلَ الظُّلْمَةَ سِتْرَهُ.** حَوْلَهُ مِظَلَّتَهُ ضَبَابَ الْمِيَاهِ وَظَلاَمَ الْغَمَامِ" (مزمور ١٨: ١١).

"وَمِنَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ **كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ** إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ" (متى ٢٧: ٤٥).

"ثم اكفهر الجو أكثر فأكثر **وانتشرت الظلمة في كل العالم** وزاد هطول المطر" (الآباء والأنبياء، صفحة ٧٦).

٤. ظهور أعماق المياه وينابيع الغمر

"فَظَهَرَتْ أَعْمَاقُ الْمِيَاهِ، وَانْكَشَفَتْ أُسُسُ الْمَسْكُونَةِ مِنْ زَجْرِكَ يَا رَبُّ، مِنْ نَسْمَةِ رِيحِ أَنْفِكَ" (مزمور ١٨: ١٥).

"فِي سَنَةِ سِتِّ مِئَةٍ مِنْ حَيَاةِ نُوحٍ، فِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، **انْفَجَرَتْ كُلُّ يَنَابِيعِ الْغَمْرِ الْعَظِيمِ**، وَانْفَتَحَتْ طَاقَاتُ السَّمَاءِ" (تكوين ٧: ١١).

"**ونزلت المياه من السحب على هيئة سيول جارفة،** وفاضت مياه الأنهار على شواطئها فغمرت الأودية، وانفجرت نافورات المياه من قلب الأرض بقوة لا يمكن وصفها دافعة الصخور العظيمة في الهواء مئات الأقدام من قوة اندفاع المياه. **فلما عادت الصخور وسقطت على الأرض غاصت عميقا فيها**" (الآباء والأنبياء، صفحة ٧٦).

٥. احتجاب وجهه وشعوره بأنه منبوذ ومتروك

"إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي، بَعِيدًا عَنْ خَلاَصِي، **عَنْ كَلاَمِ زَفِيرِي؟**" (مزمور ٢٢: ١).

"وكان رعب الناس والحيوانات والوحوش لا يمكن وصفه. **فارتفع عويل الناس الذين احتقروا سلطان الله فوق صوت العاصفة**" (الآباء والأنبياء، صفحة ٧٦).

٦. الخلاص

"أَرْسَلَ مِنَ الْعُلَى فَأَخَذَنِي. نَشَلَنِي مِنْ مِيَاهٍ كَثِيرَةٍ" (مزمور ١٨: ١٦).

"ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ نُوحًا وَكُلَّ الْوُحُوشِ وَكُلَّ الْبَهَائِمِ الَّتِي مَعَهُ فِي الْفُلْكِ. وَأَجَازَ اللهُ رِيحًا

عَلَى الأَرْضِ فَهَدَأَتِ الْمِيَاهُ. وَانْسَدَّتْ يَنَابِيعُ الْغَمْرِ وَطَاقَاتُ السَّمَاءِ، **فَامْتَنَعَ الْمَطَرُ مِنَ السَّمَاءِ. وَرَجَعَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأَرْضِ رُجُوعًا مُتَوَالِيًا.** وَبَعْدَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ يَوْمًا نَقَصَتِ الْمِيَاهُ" (تكوين ٨: ١ – ٣).

لقد كانت الطبيعة شاهدة على ما حدث لخالقها. فبما أن المسيح هو النور الذي ينير كل إنسان آتيًا إلى العالم، فقد تجلّت آلامه في حياة كل الذين هلكوا في الطوفان.

"بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ، وَبِنَسَمَةِ فِيهِ كُلُّ جُنُودِهَا. يَجْمَعُ كَنَدٍّ أَمْوَاهَ الْبَحْرِ. يَجْعَلُ اللُّجَجَ فِي أَهْرَاءٍ" (مزمور ٣٣: ٦ و٧).

بقوة المسيح صُنِعت السماوات. كل الخليقة تحيا بنسمة فمه. وبكلمة المسيح تُجمَع البحار ككومة وتوضع في أهراء أي مخازن في الأرض. وعندما رفض الناس قبل الطوفان المسيح رفضًا كاملاً، أُسكِت صوته والقوة التي كانت تحفظ المياه في مخازنها انفكت، وسُلِّمت عناصر الطبيعة لمبادئ الفوضى والهلاك.

لم يكن الشيطان هو الذي تسبب في فتح ينابيع الغمر، لكنه شجّع الناس على مقاومة المسيح فاضطر المسيح لقبول قرارهم بحزن شديد، وكانت النتيجة المرتبة على ذلك هي أن الخليقة لم تعد تسمع صوت سيدها الرقيق الذي كان ينادي عليها باستمرار وكانت تسمع كلامه فتسكن ويسود الهدوء. فعبَّرت المياه عن اضطراب الشيطان والأشرار. وكان على الشيطان بنفسه أن يتحمَّل العناصر المتحاربة إذ أن هول صليب المسيح أُظهِر وأعلِن في مياه الطوفان. لقد كانت الاضطرابات التي حدثت في الطبيعة وأدت إلى الطوفان مظهرًا من مظاهر قلب المسيح المنكسر المنسحق. والمياه التي انسكبت من السماوات كانت شهادة على الدموع التي كانت تدمعها عيناه (مزمور ١١٩: ١٣٦) من أجل أبناء آدم الضالين. رفض البشر قبل الطوفان الاعتراف بآلام المسيح، لكن الطبيعة كانت تشهد لآلام صانعها وسيدها وأظهرت حزنه وموته. سبَّب الشيطان هذا الهلاك بضغطه على البشر قبل الطوفان لكي يرفضوا المسيح وروحه. وعندما اكتمل هذا الرفض، حينئذ أظهرت الطبيعة هذا الرفض وشهدت به، وفي نفس الوقت أظهرت آثار روح الفوضى.

وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللهِ

عندما نرى إعلان الصليب في قصة الطوفان، يمكننا أن نجد معنى أعمق لمواقفنا البشرية تجاه الدينونة.

"مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ، رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحَزَنِ، وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا، مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ. لكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. **وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا**

مَضْرُوبًا مِنَ اللهِ وَمَذْلُولًا" (إشعياء ٥٣: ٣ و٤).

عندما يتم الإعلان عن قصة الصليب في أي مكان، فإن قلوب بني البشر بطبيعتها تظن أن الله هو المسؤول عن ضرب ابنه. إن الكتاب المقدس يكشف بوضوح عن الصليب في الطوفان، ومع ذلك ظننا أن ذلك الهلاك هو عقاب من الله. لقد استعلن موت المسيح في موت أولئك الذين هلكوا في الطوفان، واستجابتنا الطبيعة هي القول أنهم مصابون ومضروبون من الله، وهذا يحجب حقيقة الصليب والسبب الحقيقي الكامن خلف الهلاك.

"مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ، رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحَزَنِ، وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا، مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ" (إشعياء ٥٣: ٥).

إن آثامنا وخطايانا هي التي تسببت في الصليب، والطبيعة البشرية التي استسلمت لوساوس الشيطان هي التي تسببت في الطوفان. عندما نقول إن الله تسبب في الطوفان وقتل كل هؤلاء الناس، فإننا نكرر المبدأ المُحزن: "ونحن حسبناه مصابًا ومضروبًا من الله ومذلولاً".

لنطلب الآب بكل قلوبنا

وربنا نتساءل: "ألم يقتل ابن الله البشر قبل الطوفان لأنه لم يأمر المياه بالتوقف؟ لقد أُسكِتَ صوته وقبل حكمهم. إذا أطلقت النار على الرجل الذي يسند السد بأصابع يديه، فتتدفق المياه بعد ذلك عبر حائط السد، فمن هو المسؤول عن حدوث الفيضان؟ لقد أنذرهم، وبنى فلكًا، وتوسل إليهم وحذرهم من أن الخليقة ستعكس آلامه. وفي نفس الوقت فكما حمل المسيح خطايا العالم على الصليب، فالطبيعة كانت ستحمل عقل الإنسان الفوضوي الخاطئ وذلك في حالة من الفوضى. لقد كان جسد المسيح على الصليب في حالة من الاضطراب التام بسبب العنف، وفي وقت الطوفان كانت الطبيعة أيضًا تئن وتتمخَّض بسبب هذه الفوضى والاضطراب.

"فكم مرة دعاهم ذلك الصوت الى التوبة بنغماته الرقيقة . وكم مرة سُمع في توسلات مؤثرة من فم الصديق والأخ والفادي . فالذين رفضوا نعمته لن يسمعوا سوى ذلك الصوت المملوء دينونة المثقّل استنكاراً، ذلك الصوت الذي طالما توسل اليهم من قبل قائلا: "ارجعوا ارجعوا عن طرقكم الرديئة فلماذا تموتون" ؟ (حزقيال ٣٣ : ١١). آه، يا ليته كان بالنسبة لهم صوت شخص غريب ! يقول يسوع: "لاني دعوت فأبيتم ومددت يدي وليس من يبالي . بل رفضتم كل مشورتي ولم ترضوا توبيخي" (أمثال ١ : ٢٤ و ٢٥). ذلك الصوت يوقظ فيهم ذكريات يودون من كل قلوبهم أن يلاشوها، فهي إنذارات رُذلت ودعوات رُفضت وامتيازات احتُقرت" (الصراع العظيم، صفحة ٥٨٣).

إن الصليب الذي سُمِّر عليه المسيح قبل الطوفان يُبطِل الفكرة التي يبدو وكأنها تصور الله على أنه قاتل. فمبادئ ملكوته القائمة على المحبة ورفضه لاستعمال القوة والشريعة التي هي نسخة طبق الأصل من صفاته وتحض بكل وضوح على عدم القتل، جميعها تشهد لنا على أنه ليس بقاتل. لا يمكننا فهم قصة

طوفان نوح إلا في نور صليب المسيح. وفي نور الصليب تبطل التهمة القائلة بأن الله هو سيدٌ قاس ورئيس متعسف.

"فكل بركات هذه الحياة والحياة العتيدة تسلّم لنا مختومة بصليب جلجثة. إذاً فالتهمة الموجهة إلى الله بأنّه سيدٌ قاسٍ يحصد حيث لم يزرع هي تهمة مكذوبة" (المعلم الأعظم، صفحة ٢٣٦ و٢٣٧).

وكما حاول المسيح من كل قلبه أن يحذر الأمة اليهودية من طوفان الرومان الذي سيطغي على مدينتهم ويدمرها، حاول أيضًا تحذير الناس في أيام نوح من أن طوفانًا من الحزن سيأتي على العالم. وهو طوفانٌ صنعه الرفض والقمع المستمر للمسيح وأدى إلى إنسحاب روحه مما أدى إلى إنهيار مخازن المياه الأرضية. أما بالنسبة لخراب أورشليم، فإن روح المسيح كان يحاول منع جيوش روما من القيام بعملها التخريبي الذي ألهمهم الشيطان به. وعندما استخدم اليهود روما للتخلص من المسيح، فقد ختموا بذلك على هلاكهم.

وفي نهاية هذا العالم، أولئك الذين صلبوا المسيح سيدركون أن القرارات والاختيارات التي اتخذوها سترتد على رؤوسهم:

"وها الكهنة والشيوخ يذكرون أحداث جلجثة بدقائقها المخيفة. وبرعب وارتجاف يذكرون كيف انهم وهم يهزون رؤوسهم بتشامخ شيطاني صرخوا قائلين: "خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا! إِنْ كَانَ هُوَ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ فَلْيَنْزِلِ الآنَ عَنِ الصَّلِيب فَنُؤْمِنَ بِهِ! قَدِ اتَّكَلَ عَلَى اللهِ، فَلْيُنْقِذْهُ الآنَ إِنْ أَرَادَهُ!" (متى ٢٧: ٤٢ و٤٣).

وبكل وضوح ذكروا مثل المخلص الذي أورده عن الكرامين الذين رفضوا أن يقدموا إلى سيدهم من ثمر الكرم والذين أهانوا عبيده وقتلوا ابنه. ثم هم يذكرون أَيْضاً الحكم الذي قد نطقوا به بأفواههم. قالوا: «أولئك الأَرْدِيَاءُ يُهْلِكُهُمْ (صاحب الكرم) هَلاَكًا رَدِيًا». **ففي خطيئة أولئك الرجال الخونة وقصاصهم يرى الكهنة والشيوخ تصرفهم وقصاصهم ودينونتهم العادلة نفسها.** أما الآن فإن صرخة عذاب مميت تصدر من أفواههم أعلى من تلك التي نطقوا بها أَمَام بيلاطس حين قالوا: «اصْلِبْهُ! اصْلِبْهُ!» والتي رددت صداها شوارع أورشليم، فترتفع صرخات العويل المخيف قائلة: «إنه ابن الله! إنه مسيا الحقيقي!»" (الصراع العظيم، صفحة ٥٨٤).

وكما استخدم اليهود الرومان لتعليق المسيح على الصليب، عاد الرومان بعد ذلك بجيل وعلقوا عشرات الآلاف من مواطنيهم على الصلبان بنفس الطريقة. وكما أن البشر في زمن نوح أغرقوا روح المسيح المتوسل لأجلهم، فهؤلاء الأشخاص أنفسهم كشفوا جسديًا في حياتهم الخاصة ما كانوا يفعلونه به روحيًا.

"هُوَذَا يَمْخَضُ بِالإِثْمِ. حَمَلَ تَعَبًا وَوَلَدَ كَذِبًا. كَرَا جُبًّا. حَفَرَهُ، فَسَقَطَ فِي الْهُوَّةِ الَّتِي صَنَعَ. يَرْجِعُ تَعَبُهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَعَلَى هَامَتِهِ يَهْبِطُ ظُلْمُهُ" (مزمور ٧: ١٤ – ١٦).

والترجمة المبسطة لهذه الفقرة تقول: "ها هُوَ الشِّرِّيرُ يَحْمِلُ الشَّرَّ. يَحبَلُ بِأعمالِ الأذَى،

وَيَلِدُ الخِداعَ. **قَدْ يَحْفِرُ إنسانٌ حُفْرَةً وَيُغَطِّيها لِتَكُونَ فَخّاً. فَيَقَعُ هُوَ فِيها. يَهوِي عَلَى رَأْسِهِ الفَخُّ الَّذِي صَنَعَهُ. وَعَلَى جُمجُمَتِهِ يَقَعُ عُنْفُهُ وَظُلْمُهُ"**.

لأكثر من ١٥٠٠ عام، كانت كنيسة ما قبل الطوفان تتمخَّض كالمرأة التي تعاني من ألم الولادة للاستجابة للبذرة التي زرعها المسيح فيها. إلا أن الرفض المستمر لهذه البذرة أدى إلى موتها. فعندما تمزق كيس ماء المرأة في النهاية، فقد تجلت جثة المسيح في حياة أولئك الذين رفضوا تلك البذرة. والسؤال الذي نطرحه، عندما تتعرض المرأة لحالة إجهاض، فهل نتهمها بقتل الطفل؟ بالتأكيد لا! إنه بالتأكيد حدث مؤسف ومحزن ولكنه شهادة من الطبيعة أن شيئًا ما لم يكن صحيحًا في عملية الولادة. فموت الجنين يكشف أن رفضًا قد حدث لسبب ما. لقد تعرضت كنيسة نوح لإجهاض رهيب أدى إلى إماتة بذرة المسيح.

"فَيَرْتَاعُونَ. **تَأْخُذُهُمْ أَوْجَاعٌ وَمَخَاضٌ. يَتَلَوَّوْنَ كَوَالِدَةٍ [أي سَيُمسِكُهُمُ الأَلَمُ كامرَأَةٍ يُمسِكُها أَلَمُ الوِلادَةِ].** يَبْهَتُونَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ. وُجُوهُهُمْ وُجُوهُ لَهِيبٍ. هُوَذَا يَوْمُ الرَّبِّ قَادِمٌ، قَاسِيًا بِسَخَطٍ وَحُمُوِّ غَضَبٍ، لِيَجْعَلَ الأَرْضَ خَرَابًا وَيُبِيدَ مِنْهَا خُطَاتَهَا" (إشعياء ١٣: ٨ و٩).

"لِذلِكَ امْتَلأَتْ حَقْوَايَ وَجَعًا، وَأَخَذَنِي مَخَاضٌ كَمَخَاضِ الْوَالِدَةِ. تَلَوَّيْتُ حَتَّى لاَ أَسْمَعُ. اَنْدَهَشْتُ حَتَّى لاَ أَنْظُرُ. تَاهَ قَلْبِي. بَغَتَنِي رُعْبٌ. لَيْلَةُ لَذَّتِي جَعَلَهَا لِي رِعْدَةً" (إشعياء ٢١: ٣ و٤).

إذا وصل شخص في قراءته إلى هذه النقطة لكنه لا يزال مقتنعًا بأن الله قد قام بإغراق الخطاة لوجود كثيرين منهم ورفضهم الامتثال لأحكامه وقوانينه، فهذا الشخص معرض للخطر الجسيم المتمثل في تحريف صفات الله وتشويهها، وينسب إليه أساليب عمل تتعارض تمامًا مع شريعته. كما سيجد أنه من المستحيل الهروب من عبودية الخوف من الموت وإختبار محبة الله الحقيقية.

السبيل الوحيد للتحرر من العبودية يتمثل في فقدان الخوف من الموت. لقد أبطل المسيح الموت وأعاد الحياة والخلود بالإنجيل. حان الوقت الآن للبحث عن أبينا بكل قلوبنا والتخلص من الأفكار المغلوطة التي ورثناها على مدار السنين والتي تتعارض تمامًا مع صفات أبينا الذي ليس لرحمته ومحبته ورأفته وطول أناته ولطفه نهاية تجاه كل إنسان، والذي يعطي لكل إنسان ثمار قراراته واختياراته.

أناشدكم أن تروا صليب المسيح في كل حوادث الدمار التي حدثت على مر التاريخ. من المحتمل أن الذين ماتوا في الحرب العالمية الثانية أظهروا في حياتهم صليب المسيح الذي حدث سنة ١٨٨٨ عندما رفض رواد كنيسة الأدفنتست الحق بكل عزم وتصميم مما أدى في نهاية المطاف إلى إغراق العالم في مستنقع الحرب.

ليتنا نفكر مليًا في الرسالة الآتية لنا في هذه الساعة الحاضرة. فرفضها يمكن أن يؤدي إلى رفض العالم الأخير، ومرة أخرى سيكتنف العالم طوفانًا من الأشخاص الأشرار وذلك كانعكاس لحزن المسيح على رفضه.

من له أذنان للسمع فليسمع ما يقوله الروح للكنيسة.

الجلجثة في مصر

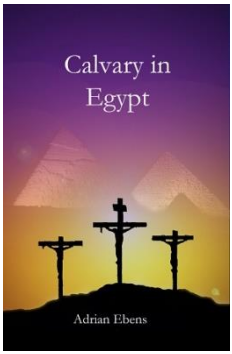

تأمل في الكلمات التالية. إن الشيطان يتحكم في عقول الجنود الرومان، لكن النَفَسْ الذي يعيشون به هو الحياة التي تنير كل إنسان آتيًا إلى العالم. ويستخدم الشيطان قوة المسيح الحالة في البشر لتسميره على الصليب. توقف للحظة وفكر في ذلك. إن صورة الجندي الروماني وهو يحمل في يده المطرقة ويرفعها عاليًا ليضع المسمار في يدي المخلِّص الغاليتين، تساعدنا على فهم الضربات التي حلّت على مصر وكل قوى الدمار والخراب التي تجلّت على الأرض.

آلهة مصر كبرقٍ من السماء

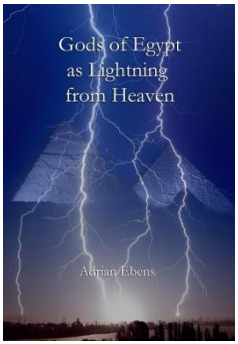

يحتوي الكتاب المقدس على العديد من الأمثلة لأشخاص حُكِم عليهم بالرجم حتى الموت بسبب آثامهم وتعدياتهم. فما هو مصدر هذه الممارسة؟ وهل كان الله هو مَنْ عرَّف موسى بهذه الفكرة أم أنها أتت من مصدر آخر؟ وهل يمكن أن تكون الأحكام التي وقعت على إسرائيل تتعلق بأفكارهم ومفاهيمهم الخاصة عن الدينونة، وأن الله لم يكن هو مصدرها؟ وهل غيرت خطية العجل الذهبي أي شيء في العلاقة بين الله وإسرائيل؟ هل يهم أن نعرف ذلك؟ من له أذنان للسمع فليسمع.

الحيَّة تُكشَف في معركة كنعان

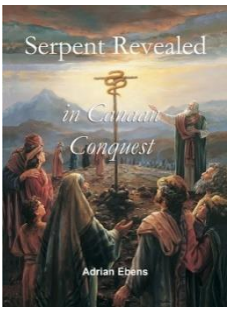

كيف يمكننا التوفيق بين قتل الأمم الذي كان يتم بالجملة بواسطة إسرائيل بحد السيف، وبين ما قاله السيد المسيحK "لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يَهلِكون"؟ وليس فقط الرجل، بل النساء والأطفال أيضًا: "وأخذنا كل مدنه في ذلك الوقت وحرَّمنا من كل مدينة الرجال والنساء والأطفال لم نبق شاردًا" (تثنية ٢: ٣٤)؟

صليب المسيح قبل الطوفان

قال بولس إنني عازم على ألا أعرف بينكم شيئًا إلا المسيح وإياه مصلوبًا. يتجلى صليب المسيح في جميع حوادث الدمار المسجلة في أسفار الوحي المقدسة. وفي كل ضيق أبنائه تضايق المسيح أيضًا.

في البدء أُعطي المسيح بذرته للمرأة التي هي كنيسته. وطوال الوقت قبل الطوفان، كانت المرأة تئن وتتمخَّض كالوالدة لتُظهِر فيهم المسيح رجاء المجد. لكنهم أحزنوا روحه القدوس ورفضوا الحق. لقد أغرقوا صوته وسببوا له حزنًا رهيبًا.

يتحدث المسيح في لغة المزامير عن صليبه الذي صُلِب عليه قبل الطوفان بالطريقة التالية:

"**جَعَلَ الظُّلْمَةَ سِتْرَهُ.** حَوْلَهُ مِظَلَّتَهُ ضَبَابَ الْمِيَاهِ وَظَلاَمَ الْغَمَامِ" (مزمور ١٨: ١١).

"**فَظَهَرَتْ أَعْمَاقُ الْمِيَاهِ، وَانْكَشَفَتْ أُسُسُ الْمَسْكُونَةِ** مِنْ زَجْرِكَ يَا رَبُّ، مِنْ نَسْمَةِ رِيحِ أَنْفِكَ" (مزمور ١٨: ١٥).

لا يستخدم أبونا السماوي أسلوب الترهيب والتخويف من الموت لإجبارنا على طاعته. فشريعته هي صورة طبق الأصل من صفاته، وشريعته تقول لا تقتل. لقد أبطل المسيح بموته الكذبة القائلة بأن الله يهدد من يتمردون عليه بالقتل. لكن الصليب يكشف أن الله يترك من يرفضونه لجني النتائج المترتبة على قراراتهم واختياراتهم. وكما استخدمت أورشليم الرومان لتعليق المسيح على الصليب وقام الرومان بعد أربعين سنة بتعليقهم هم على صلبان، كذلك أغرق البشر قبل الطوفان روح المسيح، فأغرقتهم المياه حسب أفعالهم الخاصة.